

دیوان
محمد الفیوری

دار الفؤاد بیروت

حقوق الطبع محفوظة لدار العودة

الطبعة الاولى ١٩٧٢

الطبعة الثانية ١٩٧٤

الطبعة الثالثة ١٩٧٩

دار العودة - بيروت

كورنيش المزرعة - بناية ريفيرا سنتر

هاتف ٣١٨١٦٥ - ٣١٠٨٤٠

مقدمة

حول تجربتي الشعرية

بقلم محمد الفيتوري

أكتب تجربتك الشعرية ..

دائماً تصدمني هذه الرغبة .. أن أكتب تجربتي في معاناة
الشعر والحياة .

وأنا لا أجهل أن لديّ الكثير ، مما أقوله ، حول هذه
الحياة ، البالغة العمق ، إلى درجة الغموض ، البالغة التنوع ،

إلى حد التعقيد والإدهاش .. حياة الصبي الأسمر القصير
النحيل ، الذي ما زال يلوح في مرآتي حتى الآن ، وهو
يرفل في أعوامه الاثني عشر ، حاملاً في قلبه ، وفي عينيه ،
إحساسه الخاص ، بتفرده وعذابه وغربته .

لقد كان كل شيء حوله ، يؤكد أن التفرد والعذاب
والغربة ، أشد الصفات التصاقاً بواقعه البيئي ، والاجتماعي
والنفسي ..

كان وحيد أبويه ، إلا من شقيقة وحيدة ..

وماذا في ذلك ؟

إن عشرات ، بل مئات الألوف ، من الأطفال ، ممن هم
في مثل عمره ، وظروفه ، يجدون أنفسهم ، فجأة ، كما وجد
نفسه فجأة ، في مواجهة قدر الوحدة والانفراد .

إنني الآن أطرح هذا السؤال الإستنكاري ، بعد أن
ازدادت بعداً ، جوانب المسافة الزمنية والمكانية ، التي نقف
عليها معاً - أنا والصبي الأسمر القصير النحيل - وجهاً لوجه ..
أصبحت المسافة الزمنية ، قرابة ربع قرن ، بينما تجاوزت
المسافة المكانية عشرات الألوف من الأميال .

كان قصيراً ونحيلًا ، وذا بشرة أميل إلى السواد .

وماذا في ذلك أيضاً ؟

لا شك انه كان على قدر من النقص ، أو الجنون ..
أو ربما كان شعوره بالنقص ، هو الذي أوقفه - حينذاك -
عند حافة الجنون .. أو ربما كان عكس ذلك !

هل الشعر هو الجنون ؟ أم الجنون هو الشعر ؟ لماذا كان
يؤثر الانطواء على نفسه ؟ لماذا كان يبدو في نظر الآخرين ،
متكبراً وشاذاً ومزهواً بنفسه ، إلى حد إثارة الغيظ
والاستهزاء ؟

لماذا كان يكره الأضواء والضوضاء والزحام ؟

لماذا أحب زيارة القبور ، وصلاة الفجر ، وكره حفلات
الأعراس ، مواسم الأعياد ؟

الآن أنا أراه .. وقد أتم حفظ القرآن الكريم كله ، عن
ظهر قلب ، تأهباً لدخول الأزهر الشريف ، كما تقضي رغبة
والديه .

وأذكر أنه عانى في حفظه كثيراً ، كم من امتحان رسب

فيه ، وعوقب على نسيانه أشد العقاب ، من عصا شيخه
الضرير السمين - كانوا يعلقونه من قدميه في « الفلكه » -
قطعة من الجريد ، مشدود إلى طرفيها ، قطعة من حبل
مرخاة عند الوسط بعض الشيء ، بحيث تتسع لقدمي مثله -
ويأخذ اثنان من أنداده ، يقفان عن اليمين واليسار ، في الضغط
عليهما حتى تصير قدماه بينهما ، مسطحتين في وضع متواز ،
ومن ثم تبدأ عصا الفقيه ، حركتها البندولية ، صعوداً وهبوطاً ،
فوق قدميه ، دونما هوادة ، أو استجابة لصرخاته وأناته
الضعيفة المتقطعة ، ولم يكن « سيدنا » يكف عن ممارسة هذه
العملية ، إلا بعد أن تكون قد تعبت ذراعاها .

ويعود الصبي إلى بيته ، منكسر الخاطر ، متورم
القدمين ، حاملاً تحت إبطيه ، حذاءه الذي سيظل لبضعة
أيام قادمة ، ضيقاً عليها ، حتى تعودا إلى حالتها الطبيعية ..
وكان يغيظه كثيراً ، أن أمه وأباه ، لم يكونا يبديان أقل
قدر من التذمر أو الاكتراث ، وهما يريانه في مثل حالته
اليائسة هذه ، فلقد نذراه ، ليكون واحداً من سدنة
« أب الله الكريم » .

ولأمر ما ، تراءى له أن يبحث عن ذاته ، فوجد نفسه مضطراً إلى أن يقرأ ، ثم يختار أشياء مما يقرأ ، ثم يحاول أن يقلد شيئاً مما أعجب به .. ثم تصور أخيراً ، أنه قد وجد نفسه .

وفي مرحلته هذه ، استطاع أن يعثر ذات يوم ، على كتاب ثمين في مكتبة أبيه ، عثر على سيرة عنتره بن شداد .. من يكون عنتره هذا ؟ فارس ؟ شاعر ؟ عاشق ؟ قاطع طريق ؟

وراح يلتهم بكل ما في روحه من تشوق ظامىء ، إلى الحياة .. الجزء الأول ، ثم الجزء الثاني .. حتى أكمل بقية أجزاء الأسطورة الشعبية ، ومنها عرف أن عنتره فارس لا يشق له غبار ، وأنه عاشق لأجمل صبايا قبيلة عبس (عبلة) وأنه أيضاً - وهذا مهم جداً - عربي أسود البشرة .. أسود مثله ! وأعاد قراءة السيرة ، من البداية ، حتى أنه ليذكر الآن ، كيف استطاع عنتره الابن غير الشرعي لشداد ، أن يفرض ذاته ، وأن يؤكد وجوده ، وهو الشخص الضائع النسب ، ما بين الحرية والاسترقاق ، في مجتمع الجاهلية

المتعصب ، الذي لا سيادة فيه ، إلا للأقوى ، والأشرف ،
والأغنى ، ولا حياة فيه للعبيد والمساكين والفقراء .

– كر يا عنتره

– إن العبد لا يحسن الكر

– كر وأنت حر ..

ووجدت الانفعالات الكثيرة الحبيسة والمجهولة ، التي
كانت تتماوج داخل رأسه الصغير الكبير ، في شعر وقوة
وضخامة عنتره بن شداد – كما يتخيلها – متنفساً لها ..

ثم جاء الوقت ، الذي أفرغت فيه شخصية عنتره
الاسطورية ، لكثرة ما عايشها ، من كل معطياتها النفسية ،
ودلالاتها الإيحائية .. لم تعد هذه الشخصية ذات قدرة على
تلوين أحلامه ، وإشباع نوازعه ، وكان عليه أن يبحث عن
عنتره آخر ، في كتاب جديد .

ووقعت عيناه على رحلة بني هلال ، من الشرق إلى الغرب ،
وتعرف على أبي زيد الهلالي سلامة ، والزناتي خليفة ، ودياب ،
والأميرة الناعسة ، وكانت متعة لا حد لها ، عندما يشارك

بخياله ، في المعارك التي خاضوها ، والمشاق التي تعرضوا لها ،
خلال رحلتهم التاريخية ، وكثيراً ما استغرقت رؤيته فارس
بني هلال الأسمر ، وهو يصول ويحول ، ممتطياً صهوة جواده ،
رافعاً رمحاً ودرقته ، منشداً في الميدان :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه

ولا كل من ركب الحصان خيال

وهكذا تعددت مصادر اشباع احتياجاته الروحية
والعاطفية ، وقرأ حمزة البهلوان ، والأميرة ذات الهمة ،
وسيف بن ذي يزن ، وفيروز شاه ، وألف ليلة وليلة ، ولما
نضب هذا المعين ، بدأ يتقرب من بعض الكتب الأخرى ،
التي تصور انها قد تتضمن شيئاً ، يبقى عليه ، عالمه الخيالي
الخاص الذي شاده لنفسه .. وتنقل ما بين شيرلوك هولمز ،
وطرزان ، وأرسين لوبين ، وبدا له أن يقرأ بالضرورة ،
أعمالاً أدبية أخرى ، مترجمة عن لغاتها الأصلية ، مثل البعث ،
وأنا كارنينا ، والحرب والسلام لتولستوي ، وفاوست

لجوته ، وآلام فرتر لجوته ، وغادة الكاميليا
وماجدولين .

والحق أن أباه - رحمه الله - لم يكن يضمن عليه أبداً ،
بشيء مما يريد ، فقط عندما كان يتعارض ما يجب أن يقرأ ،
مع ما يجب أن يقرأ أو أن تتهدد نزوعاته الجانبية ، تلك
المؤهلات التي لا بد من أن تتوفر لديه ، ليكون أحد طلبية
الأزهر الشريف .

وكانت الحرب العالمية الثانية ، تموت اختناقاً في أيدي
الحلفاء ، وأسماء هتلر والنازية ، وموسوليني والفاشية ،
وستالين والبلشفيك ، وروزفلت وتشرشل ، أشبه برموز
وألغاز ، تتحدى مداركه ومستوى فهمه ، بكل ما تنطوي
عليه من معان ودلالات .

ماذا كانت تعني الحرب بالنسبة له ؟

وما الذي كان يمكن أن تعنيه بالنسبة لمراهق في مرحلته ،
أكثر من الخوف ، من ذلك الشيء المجهول .. من الموت ..

وشهدته حوارى الاسكندرية وأزقتها المتربة المتسخة ،

وهو يتدحرج مع الهاربين ، إلى الخنادق والمحابيء ، لينزوي معهم بعيداً عن شظايا القنابل ، ونيران الطائرات المغيرة ، التي طالما روعت غاراتها الليلية المتواصلة ، سكان المدينة الجميلة الهادئة ، النائمة في أحضان البحر الأبيض ، وكثيراً ما أحالت أحياءها ومبانيها ، إلى خرائب وأنقاض .

وانتهت الحرب ..

ودخل الأزهر الشريف

ومارس أنماطاً جديدة ، من العلاقات والمعارف ، لم يكن قد ألفها من قبل .

وفي زحام ألفية ابن مالك « ومشاكل النحو والاعراب ، وقضايا الفقه والشريعة ، ومجالات الفلاسفة والمتكلمين ، أحس بالغبية والحزن ، يخيمان على روحه ، وتكادان تخنقان أنفاسه ..

وكتب حينذاك شيئاً ، عن الحزن والغربة ، عرف فيما بعد ، أنه ليس إلا مقدمة الشعر ..

كان هذا الشيء الذي كتبته وقرأه على نفسه ، صورة

طبق الأصل ، لما قرأه لشعراء آخرين ، يسكنون بطون
الكتب ، ويطلون عليه من شرفات العصور .. طرفة بن
العبد ، وامرؤ القيس ، وعمرو بن أم كلثوم ، وزهير بن
أبي سلمى ، وعنترة بن شداد ..

لكم كان سعيداً وفخوراً ، حين اكتشف أن فارسه
وشاعره الأسطوري ، أحد أولئك الذين بلغ من عظمة
قصائدهم ، وسمو قيمتها الفنية ، إن كتبت بماء الذهب ،
وعلقت على أستار الكعبة ، وسميت بالمعلقات .

وقال له أحد شيوخه ، وقد لمس شغفه بقراءة الشعر ،
إن شعراء المعلقات ليسوا نهاية الشعر ، هناك شعراء الصعاليك ،
ولا تنسَ أن الشعر ازداد عذوبة وجمالاً ، بعد أن باركته
حضارة الدولة الإسلامية .

وأعجبه من هؤلاء الشريف الرضي ، وتلميذه النابغة مهياري ،
والمعري والمتنبي وابن الرومي ، وأبو تمام ، ورفض البحتري ،
وأبو العتاهية ، وأبو نواس .

كان الأولون يمثلون له ، طاقة الإبداع وأصالة التجربة
الوجدانية ، عند الشاعر العربي ، بينما لم يكن يصنع الآخرون ،

أكثر من أنهم يضعون في يديه مفاتيح المهارة الفنية ، وعبقورية الذكاء ، وأصول الصياغة الشعرية .

وخلال قبوله ورفضه ، كان يمارس كتابه أشياء الخاصة ، التي كان يسميها شعراً ، ويحرص على أن يضمنها دفتي كتاب . وكما خيل إليه أنه شاعر ، خيل إليه أنه عاشق .

وكتب أكداً هائلة ، من الصفحات ، في شكوى زمانه الغادر ، وبكاء حبه اليائس ، ورثاء شبابه الغض ، الذي اجتاحتته الشيخوخة في الربيعان .

وكبر قليلاً ، وكبرت معه أشياءه الخاصة .. إحساسه بالغربة والحزن والشعر .. وكان يزداد انطواء على نفسه ، كلما ارتطمت عيناه بحقيقة جديدة من حقائق الموت والحياة .

- ٢ -

.. دائماً تحاصرني عيونهم .. ضحكاتهم .. تتابعني حينما أسير .. أنهم يسخرون مني .. منطري يثير فيهم روح

السخرية والاستهزاء . لقد فضضت سر اللغز .. سر المأساة
التي ولدت معي .. إنني قصير وأسود ودميم .. ،

هكذا كان يقول لنفسه ، كان يفضح نفسه ، فقط أمام
نفسه .. وخرس فلم يستطع أن يجيب ، وبعد ذلك بأعوام
قلائل ، استطاع أن يتأوه :

فقير أجل .. ودميم دميم
بلون الشتاء ، بلون الغيوم
يسير فتسخر منه الوجوه
وتسخر حتى وجوه الهموم
فيحمل آلامه في جمود
ويحضن أحزانه في وجوم
ولكنه أبداً حالم
وفي قلبه يقظات النجوم

* * *

فقير .. فوجهه كاني به
دخان تكثف ثم التحم
وعينان فيه كأرجوحتين
مثقلتين بريح الألم
وأنف تحدر ثم ارتقى
فبان كمقبرة لم تتم
ومن تحتها شفة ضخمة
بدائية قلمًا تبسم
وقامته لصقت بالتراب
وإن هزئت روحه بالقمم

* * *

وقالوا : أحب ..

وردت الألسن الساخرات :

أحب .. أحب

.. ..

لقد كان أليماً ، ومطعوناً إلى حد الاحتراق .. ولم يكن
يفوقه في إحساسه الهائل بعمق الألم وقتامة الواقع ، إلا شاعر
واحد ، خلاف جميع الشعراء العرب ، الذين قرأ لهم فيما بعد ..
شاعر واحد ، أو ربما شاعران لا أكثر .. الأول اسمه ،
أبو القاسم الشابي ، والثاني اسمه ، الياس أبو شبكة ..

لقد أعطاه الشاعر الأول ، نموذجاً كاملاً ، لمقدرة الشاعر
الصادق ، في التعبير عن الألم ، وفلسفة الأيمان به :

وإذا ما استخفني عبث الناس
تبسمت في أسمى وجمود
بسمة مرة كأني أستل
من الشوك ذابلات الورود

بينما أعطاه الشاعر الثاني ، نموذجاً رائعاً ، للمقدرة على قهر
الألم ، والاستعلاء عليه :

وحملت تابوتي .. وسرت بمأتمتي

« لا تستطيع معدتي ، هضم أشعار المازني والعقاد ، أو
حق استاذهما عبد الرحمن شكري .. أما مدرسة أبوللو ،
فلا أجد في قصائد رائدها أحمد زكي أبو شادي ، حاجتي ..
صحيح أن لديه من الصور والأخيلة ، ما يشوقني ولكنني أجد
الصورة ، والموسيقى ، مضافاً إليها روح الشعر ، ووهجه
وحيويته ، في القصائد القليلة ، التي قرأتها لعبقري الشعر
السوداني التجاني يوسف بشير ، وشاعر الطبيعة المصرية ، أحمد
عبد المعطي الهمشري .

انهما ويليها ابراهيم ناجي ، ومحمود حسن اسماعيل ، وحسن
كامل الصيرفي ، هم الشعراء .

وعلى صفحات الأعداد القديمة ، التي عثر عليها من مجلات
« أبوللو » و « الامام » و « المقتطف » و « اللطائف المصورة »
و « المجلة الجديدة » ، التقى يجبران خليل جبران ، ونسيب
عريضه ، وفوزي المعلوف ، وإيليا أبو ماضي ، وميخائيل
نعيمه ، ونعمة قازان .

« هناك شيء ما ، غير عادي ، يشدني إلى هؤلاء الشعراء ،
ويملؤني إعجاباً بهم .. »

إن النكهة التي أحسها في فمي ، عقب قراءة أعمال الشعراء
المهجريين تحيرني .. هل هي نكهة الجديد ؟ هل هي امتزاج
الجديد حقاً بالقديم ؟

« التأملات الفلسفية العميقة ، لجبران على وجه الخصوص ..
أن كتابه « النبي » يجعلني أحس بتقارب شديد ، بين أفكاره
وأفكار نيتشه ، في « هكذا قال زرادشت » .. »

إلى أي مدى امتلأت رثنا جبران ، بمعطيات المناخ
النيتشوي ؟ رغم ذلك فإن جبران هو الإنسان ، وهو
الشاعر ..

إنه غريب وحزين ومنكسر القلب مثلي .. أعماله الشعرية
والنثرية ، وحتى صورته التي رسمها لنفسه ، توحي بذلك ..
ما أروع أن يكون الإنسان شاعراً ورساماً في نفس
الوقت .

وتوقف طويلاً ، عند جبران ، في « المواصف » و « الأجنحة
المتكسرة » .. وحين وقعت في يده ، قصيدته الطويلة

« المواكب » فرح كالأطفال ، وضمها إلى صدره ، وأخذ يتعبد لها في خشوع ..

« قد يجيء اليوم ، الذي أصبح فيه شاعراً ذا فلسفة ووجهة نظر في الكون ، وفي الحياة مثله .. جبران ذلك النبي الضائع . إن حيي له لا يعادله حيي لنعمة قازان » .

لماذا يا ترى ؟ هل لأن جبران كان مسيحياً يتعاطف مع المساكين والعبيد والفقراء ؟ وهو يحس أنه مجرد واحد من هؤلاء ؟

وأثبت في مذكراته أيضاً : لقد عثرت اليوم على شاعر فرنسي اسمه شارل بودلير .. يكاد يفقدني صوابي .. إنه ذو طبيعة شعرية ، غير عادية ، قادرة على خلق الصور ، وتجسيد المشاعر والأفكار ، وتكثيف الأوضاع النفسية والاجتماعية ، في حالات فقدان تناسقها وانسجامها فنياً .. ان لديه بصيرة تنفذ إلى ما وراء الأشكال والمظاهر .. انني غارق هذه المرحلة ، حتى الغيبوبة والدوار ، في عالم بودلير الخفيف المعذب في أزهار الشر ..

الأروع من كل ذلك .. أن معبودته الأرضية ، جارية سوداء ، اسمها جان ديفال ..

بودلير الأرسقراطى الأبلض ، مضم الفوارق الطبقة
واللونىة ، بطرىقته الخاصة .

سىان كان من أجل الجسد ، أو من أجل الشعر ، إن
شارل بودلير يقرب منى أكثر فأكثر ، كلما تعمقت تجاربه
وتمزقاته الحسنة والوجدانية .

ذلك الشاعر الملعون .. الجرح والسكنى ، الضحية والجلاد .
إننى أنتمى إلى بودلير بصلة ما .. »

وفى عام ١٩٤٨ .. كتب أولى تجاربه الشعرىة ، التى
انصهرت فىها ، ذاتىته الصغرى ، فى ذاتىة إنسانية أعم ..
الذات الأفرىقىة .. انطلاقا من الخط النفسى ، الذى قدر
علیه أن يكون خطأ فكرياً عميقاً ، يترسمه فىما بعد ، ويمضى
فىه طويلاً ، ويكون اتجاهاً ومساراً له .. كتب قصيدته
« إلى وجه أبيض » .

ألثن وجهى أسود ..
ولثن وجهك أبيض .. سميتنى عبدا ..

ووطئت إنسانيتي .. وحقرت روحانيتي
فصنعت لي قيداً .

.. وتنهد مرتاحاً لأول مرة ، فقد كان عبثاً وضباباً ، كل
ما كتبه قبل ذلك ، ما نشر منه وما لم ينشر .. كل ما كتبه
قبل ذلك ، كان إجهاضاً لميلاد تجربته الانسانية الحقيقية ، التي
يريد أن يتغنى بها ، وأن يعلنها على الجميع .

أريد أن أكون صادقاً مع نفسي أولاً ، وأن يكون ما
أكتبه هو ما أحسه .. غير أنني أطمح إلى أن أتعرف على
الوجه الآخر لشقائتي .

ولا تحسبوا أنني وحدي ، فمعي الملايين .

ذات مرة ، التقيت في الخرطوم ، بأحد مواطني ، ولم
أكن قد رأيته من قبل ، وليست لي به سابق معرفة ، أنا
لا أذكر اسمه الآن .. وحين قدمني باسمي إليه صديقي الشاعر
الفنان عثمان وقيع الله ، أدهشني بثورته المفاجئة في وجهي ..
وقال كلاماً كثيراً ، ما تزال تطن في أذني منه هذه الجملة :

.. ما هذا الشعر الذي تكتبه يا أخي .. لقد فضحتنا ..
إنني أكرهك ..

لقد أردت بالفعل ، أن أفصح واقعنا اللا انساني الأسود ،
ولن أسمح لنفسي بالمساهمة في تزييف هذا الواقع القبيح ..
« وكان قد أصدر ديوانه الأول « أغاني افريقيا » .

« إن أحمد رشدي صالح ، وكامل الشنـاوي ، وسلامه
موسى ، وزكريا الحجاوي ، وأنيس منصور ، وفتحي غانم ،
ورجاء النقاش ، وصفوة أخرى ، من رجالات النقد الأدبي ،
والفكر السياسي العربي ، عرضوا لهذا الديوان .. أضافوا
إليه ، من قيمهم النقدية ، ومفاهيمهم السياسية ، ومن مواقفهم
وجهودهم ، في مجال التحليل والتفسير .

وهذا أحدهم ، الناقد أحمد رشدي صالح ، الذي كتب
غداة صدور الديوان يقول^(١) :

« أغاني أفريقيا ، خفقات قلب رقيق جديد .. متطلع إلى
الحياة .. انه يدل على أن الفيتوري شاعر في مقدمة شعراء

(١) مجلة التحرير ١٩٥٥ .

المدرسة الواقعية .. من حيث القدرة والصناعة ، ومن حيث
دقة الشعور ، وانتظام الصورة .. والفيتوري - كما قلت -
له مستقبل . وليس المهم ، أن يكون للكاتب أو لشاعر
ماضي يجلس عليه ، بل المهم أن يكون له مستقبل يرتقي
إليه .

وكان محمود أمين العالم ، قد أثار من قبل ، عاصفة جدلية ،
حول المفاهيم الايديولوجية ، التي يستهدفها الديوان :

ومع تعدد نقاط الخلاف فيما بيننا ، فإني ولا أخفي ذلك ،
أحمل له قدراً كبيراً من المحبة والإعجاب ، ومع ثقتي الأكيدة ،
في خطأ موقفه من هذا الاتجاه الشعري الجديد ، الذي
تبلورت ملامحه ، في ديواني « أغاني افريقيا » .

هل كان الخطأ في الموقف ؟ أو أن الخطأ في التفسير ؟

في النظرية أم في التطبيق ؟

قلت له ، وأنا أجادله في مجلة « الآداب » البيروتية ،
أنك لا تستطيع أن تتعمق حقيقة مأساتي ، لأنك لا تستطيع
أن تعيش تجربتي .

وقال لي ، انها مأساتك الخاصة ، تسقطها على قارة
بأكملها ، على افريقيا .. انك شاعر مريض ..

قلت له ، وأنا أريد في هذه المرحلة من شعري ، أن
أتطهر من مرضي ، بأن أبوح به .. لقد جرؤت على أن
أكسر الصدفة من الداخل ، ولذلك تجدني أغني مبتهجاً بمادة
حزني :

قلها لا تجبن .. لا تجبن
قلها في وجه البشرية
أنا زنجي .. وأبي زنجي الجد ..
وأمي زنجية ..
أنا أسود .. أسود لكنني حر ..
أمتلك الحريه
أرضي افريقيه ، عاشت أرضي
عاشت افريقيه ..

قال لي ، إنك تمزق القضية ، وتمزق الطبقة ، وتمزق
الكتلة الجماهيرية الواحدة ، بدعواك ان هناك قضية منفصلة

للسود .. إن العامل الأبيض والعامل الأسود ؛ يرزحان تحت
نير تاريخي واجتماعي واحد ، هو نير الرأسمالي الأبيض ،
والرأسمالي الأسود .. نير الاستعمار والاستغلال . فالقضية
إذن ليست قضية أسود وأبيض ، إنها قضية مستغل
ومستغل .. قضية الكادحين وأصحاب رؤوس المال ..

قلت له : هذا حق .. وحق أيضاً ، هذه الوراثة
والخصائص البيولوجية والسيكولوجية ، هذه المشاعر
والانفعالات المركبة المعقدة ، التي انحدرت إلينا مع عذابات
التاريخ .. إن بصمات عهد العبودية ، تركت آثارها على الأرواح
أيضاً ، وليس فقط على الأجساد .

والآن ، وقد تعاقبت خمسة عشر عاماً ، مند صدور
الديوان .. الآن وقد انعطفت بي دروب الحياة ، ومسالت
الشعر ، فإنني ما زلت أرى قصائدي الأولى بنفس العين المحبة ،
المعجبة ..

وأدرك أكثر من ذي قبل ، إلى أي مدى كان أولئك
الذين وقفوا ضد شعري ، وضد اتجاهي مخطئين وظالمين ،
وقساة .

هل أطلب منهم ، أن يعيدوا قراءته ، ويتأملوه في ضوء
الواقع الافريقي والانساني الجديد ؟

ربما أصبح الشكل الذي استخدمته فيما مضى ، في
صياغة أفكاري وانفعالاتي ، شكلاً قديماً ..

غير انني أرى أن أصالة الفكر ، وأصالة الشعر ، بل
وأصالة الشاعر نفسه ، ليست وقفاً على الشكل أو الأسلوب ،
ولست نابعة قط ، ولن تكون نابعة من هذا أو ذاك .

إن الأصالة هي أصالة الفكر .. أصالة العاطفة ، أصالة
الإبداع ، وفي هذا السياق ، فإنني أستطيع أن أقول ، إن
الأسلوب الفني الجيد ، أو الصياغة الموسيقية الدقيقة ، لن
تستطيع رغم جودتها ودقتها ، أن تخلق للفكر السطحي ،
أو الفكر المسروق ، أجنحة تخلق بها في آفاق الحياة .

إن سقوط كثيراً من النماذج الشعرية المعاصرة ، بل إن
سبباً رئيسياً ، من أسباب انهيار شعرنا الحديث ، في إحساس
كثير من النقاد والمتذوقين ، إنما مرجعه إلى الضحالة الفكرية ،
والنفسية ، المترسبة وراء هذا الشعر ..

* * *

الآن أيضاً ، وبعد تتابع تجاربي ، في حقول الشعر
الغنائي ، والشعر الدرامي ، أين تراني أقف من أداتي الشعرية ،
التي ينبغي أن تكون لي ، حتى أواجه قضايا الصراعات
الإنسانية ، والاجتماعية ، وحقائق الفن والموت والنضال
والحياة .

إن رؤيتي الخاصة والعامة ، للعالم وللناس من حولي ،
ما تزال باهتة بعض الشيء ، محدودة بعض الشيء ، وصوتي
أخرس بعض الشيء .

إنني أريد أن أرى العالم بعيون حادة ، تستطيع أن
تترصد ظواهره ، وأن تتفحص خلاياه ، وأن تسجل كل
ما فيه من تناقض ، وتشير إلى كل ما فيه من تضاد ، وتعري
كل ما فيه من فساد واختلال .

تلك هي الرؤيا ، التي تميز بها أولئك الذين أحسبني واحداً
منهم ..

ما لم أرَ بحواسي كلها ، فأنا ما زلت أخرس .. ستظل
دائماً هناك مسافة بيني وبين المستوى الذي أمضيت عمري ،

في محاولة الوصول إليه .. وهذا هو مبعث حزني
واضطرابي ..

ربما كانت تلك مشكلتي وحدي ..

* * *

ذات مرة طلب مني أن أشرح الحالة التي تولد فيها
قصائدي ..

وأذكر أنني أجبت بابتسامة بلهاء .

كيف يمكنني أن أصف ، بل أن أحلل حالة تركيبية ،
بالغة التعقيد والتداخل ، دائمة التجدد والتغير ، لأنها نادراً
ما تكرر نفسها ، ونادراً ما تتكرر حتى بالنسبة للفنان
نفسه .

انني لا أحسب أن شاعراً أو فناناً ما ، لديه القدرة
الكافية ، على مواجهة ذاته الشاعرة ، ورصد الحالة غير الطبيعية
غير البشرية ، التي تتلبسها هذه الذات أثناء انهماكها ، في عذاب
الإبداع .

إن عملية الخلق الفني ، عملية خفية - إذا صح هذا التعبير - إنها حالة انشطار الانسان شطرين .. حالة صراع داخلية ، يسقط ضحية لها ، في أغلب الأحيان ، وجود الفنان الصناعي الخارجي ، ليرتفع فوق أشلائه ، ذلك الوجود الحقيقي الآخر ، الكامن أبداً فيه ..

ربما استطعت أن أقول ، انني أعيش تجربتي ، حتى إذا نضجت أخذت أصعدها ، مرة أخرى ، لأصوغها كلمات على الورق ، ولكن عملية الخلق الفني ذاتها ، ليست سهلة أبداً على هذا النحو .

إنها شيء أعمق من هذا بكثير .

بعض النقاد ، وصف هذه العملية ، بأنها أشبه بحالة الحمل والولادة ، عند المرأة ، وربما كانت شبيهة بهذه الحالة ، الى حد ما .

والبعض الآخر ، قال عنها ، إنها حالة جنون .. حالة انهيار .. حالة مغامرة .

ولعل فيها شيئاً من هذا او ذاك ، بل لعلها أشبه بحالة

الوحي عند الرسل والنبیین .. أو لعلها - كما يقول
السورياليون - حلم يقظة .. أو يقظة بالغة الحدة .

إلا أن الرعشة المقدسة ، التي تأخذ الفنان حينذاك
يستحيل التعبير عنها ، إلا ضمناً .. ضمن هذا المزيج النفسي
الموسيقي الفكري ، الذي يسمى بالقصيدة الشعرية .

* * *

ومرة ثانية ، طالب مني ، أن أعلل غيابي الشعري ، الذ
دام بضعة أعوام ، عقب صدور ديواني الأول .

وأنا أعرف شعراء ، سكنت أصواتهم وهم أحياء ، نتيجة
لانطوائهم على أنفسهم ، أو لانصرافهم إلى نشاطات حياتية
أخرى - والشعر غيور يرفض أي نوع من أنواع المشاركة -
أو نتيجة لقصور ذاتي ، أو ضمور في ميراثهم من الموهبة
والإلهام .

غير أن الأمر بالنسبة لي ، كان مرده إلى أنني عشت تلك
الأعوام كلها ، خارج ذاتي .. لم أكن أتكلم لغتي .. ولا أفكر
برأسي ، ولا أرى بعيني .. كنت غريباً في وطني .

غريب الوجه والصوت والرائحة ..

وهكذا وجدتني ، وقد مات في كل شيء ..

أقصد امتدت الصحراء على روحي ، فلم تنبت فيها شجرة
واحدة خضراء .

أذكر - للعلم والتاريخ - إني عملت بالصحافة ، رأست
تحرير أكثر من جريدة يومية ، ومجلة أسبوعية ، وأني خضت
غمار أكثر من تجربة سياسية واجتماعية ، ثم استيقظت فجأة ،
فوجدتني أحرث - كما يقولون - في البحر .. بلا شجرة ،
بلا حياة ، بلا شيء .. اللهم إلا عزاء قديم ، كنت ألحّه في
ديواني الأول .

واجتاحني شعور طاغ بالعذاب ، والقلق ، واللامبالاة .

لماذا أنا كذلك ؟

هل حقيقة أن الشاعر الذي كنت أنا هو ، قد مات ؟!

ومن جديد ، بدأت أسترجع صوتي ، بحثاً عن وجودي
الضائع ، هذا الوجود الذي لا أعرف له معنى إلا بالشعر .

وأحببت ، واصطدمت بجدران الواقع الذي عشته ، حق
شعب جبيني ، وغسل وجهي ، وروحي الألم .

وعدت ثانية إلى الشعر ، في مجموعات أشعاري التي
تعاقت بعد ذلك .

* * *

ومرة ثالثة ، سئلت عن تجربة الصوفي عندي ؟

وإجابتي ، هي أن التجربة الصوفية ، بالنسبة لي ، جزء
من كياني .. لقد عانيتُها قبل أن أولد ، فقد كان والدي أحد
كبار رجالاتها ، وعانيتُها طفلاً وصبياً ، وقبل أن أعرف
الشعر .. بل لعاني عرفت الشعر من خلال معرفتي بها ..

ولذلك ، فإن لجوئي إليها ، ليس لجوءاً طارئاً ، أو
جديداً ، أو مفتعلاً .. ليس لجوءاً ثقافياً ، أو فلسفياً ،
أو فنياً ، لمجرد البحث عن أفق جديد .

والظاهرة الصوفية ، كما عبرت عنها في مجموعتي الشعرية
(معزوفة لدرويش متجول) هي في حقيقتها التفاتة أعمق إلى
الداخل ، وعودة أشد التصاقاً بالجوهر .

ويبقى بعد ذلك ، أن أوضح حقيقة الاتجاه الصوفي ، في
أشعاري الأخيرة .

إن صوفية الشاعر ، أو شاعرية الصوفي ، الذي أتكلم عنه ،
موقف إنساني إيجابي ، واعٍ ومدرك ، وليس موقف
الدرويش المنجذب إلى مجموعة من الأفكار المشوشة والأحاسيس
التجريدية العمياء .

إنه الصوفي الثوري ، وليس أبداً ذلك الصوفي التقليدي
المتهالك المهزوم .

* * *

وأخيراً .. فإنني أرى أن الوعي بحقيقة الأوضاع
الاجتماعية ، وإدراك التناقضات والعوامل الديناميكية ،
التي تتفاعل داخل المجتمع الانساني ، والمؤثرات والأحداث
التي تحرك التاريخ ، ثقافة ضرورية ، لا بد منها للشاعر
المعاصر .. إنه بغيرها يعزل نفسه ، عن حركة الحياة .

* * *

أغاني افريقيا

أما مسألة الجديد والقديم ،

فأرأيي هو أنه لا جديد ولا قديم في الشعر .. الجديد فقط ، هو الرؤية الإنسانية الجديدة ، للواقع الاجتماعي المتغير .
وبدون الاتحاد الكامل ، بين عنصري الإيقاع والشكل ،
الرمز والصورة ، الروح والجسد ، تفقد الكلمة الشعرية
فعاليتها ، وقدرتها على أن تتحول إلى ميراث .

٣ / ٥ / ١٩٧٠ - محمد الفيتوري

آغانى افرىقىا

هذا الديوان

بقلم : محمود أمين العالم

هي رحلة شعرية من طراز فريد ...

بدأها الشاعر من حيث الأعشاب تتكسر تحت الأقدام
الموحلة وحيث الأقبية الرطبة ، والتوابيت المكتنزة بالأحقاد
والمخاوف وحيث الأشجار السوداء والظلال الحقيرة ... وراح
يواصل حركته الزاحفة خلال الدهاليز والمفاوز والمشاعر
الصفراء ، حتى توج ضوء النهار جبينه الظافر .

في البداية كان يحس في أغواره الباطنية إحساساً بالغماً
بالضياع ولم يكن يستشعر إنتساباً حقيقياً إلى وطن .

فهو زنجي الجدد من أعالي بحر الغزال ، وهو مصري الأم ..
وهو سوداني الوالد .. وفوق هذا وذاك قضى الجانب الأكبر
من حياته في مدينة كبيرة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط
لا يهدأ لها نشاط هي مدينة الإسكندرية .

ومنذ طفولته المبكرة .. كانت ترتعد في آذانه أصوات
طبول ودفوف ، وترتفع أمام عينيه أجساد بشرية ترقص
رقصات متوفرة .. فلقد كان والده من رجال الطرق الصوفية ..
لا يمل القيام بموالدها وطقوسها .

وكانت بشرته السوداء تقيم بينه وبين المدينة التي يحيا فيها
حاجزاً كثيفاً .. يحرمه المشاركة والاندماج ، ويؤجج في باطنه
مشاعر مريرة صفراء ، ويشعذ حساسيته .

وكان يقف على العتبة الأخيرة من الفئة البورجوازية الصغيرة
يمتلئ وجدانه بصراعا المرير من أجل العيش ، وتمزقه قيمها
المنهارة القلقة ، وتردها القاتل ، وتهدهده هوات الشقاء التي
تفتأ تتسع تحت أقدامها بين يوم وآخر .. في هذه المدينة
التجارية الكبيرة التي لا تكف سفنها عن المجيء والذهاب ،
والتي نقيم فيها الطبقة الأورستقراطية الأوروبية البيضاء

مجتمعا يكاد أن يكون مقفلا على أبناء البلاد .. والتي لا تعرف
الوجه الأسود إلا خادما ذليلا ..

واتخذت رحلته من الشعر مركبا لها .. واستهلت سبيلها
متخذة حمولتها من هذه الأجواء جميعا .. حصيلة من الضياع
والغربة والإحساس البالغ بالدمامة والمهانة .

وفي البداية كانت وجهته سماء فسيحة لا حدود لها .. هي
اللامكان ..

يا ليتني فراش نحل جناحاه على هيكله شعلتان .
يا ليت قلبي قلبه ويدي جناحه وموطني اللامكان .

فراراً من تلك المدينة التي يعيش فيها ، ومن كافة المدن
الأخرى التي انتقل إليها فيما بعد .. فهكذا كان يخاطب
الصفصافة وهو في طريقه :

وأنت مثلي في فرار نفسي

من صخب المدينة المثير

لكنني أقفأت بانفعالي

من زحمة المجتمع الشرير

وكان يسير في طريقه أقرب إلى الموت منه إلى الحياة :

وكنت أمشي متخماً بالردى

كدودة تزحف بين القبور .

مستشعراً بشرته السوداء في مرارة بالغة :

فقير أجل .. ودميم دميم

بلون الشتاء .. بلون الغيوم

يسير فتسخر منه الوجوه

وتسخر حتى وجوه الهموم

وقد يصل الأمر به إلى حد السخرية الحادة ..

دميم .. فوجه كأني به .. دخان تكثف ثم التحم

وعينان فيه كأرجوحتين .. مثقلتين بريح الألم

وأنف تحدر ثم ارتقى .. فبات كمقبرة لم تتم

ومن تحتها شفة ضخمة .. بدائية قلما تبسم ! .. !

وقامته لصقت بالتراب .. وإن هزئت روحه بالقمم

وكانت روحه هذه التي هزئت بالقمم هي حلقة للنجاة ،
هي كبرياؤه الذي أبقى على قواء المجاهدة .. وأتاح له مواصلة
الطريق .. رغم هذه الدمامة ، ورغم حساسيته التي كانت
تشقيه أكثر ما تشقيه دمامته .

لم تشقني دمامتي في الوري

لم تشقني إلا حساسيتي

ولكنه لم يكن جاداً في إحساسه بالدمامة أو كان مغالياً
في هذا .. فهو ليس دميماً .. ولم تكن بشرته السوداء العقبة
الحقيقية في سبيل الوصول ، سبيل الخلاص الذي ينشده ، بل
كانت العقبات الحقيقية تكن في باطنه .. مشاعر حاقدة
سوداء .

عندما تورق الكآبة في صحراء نفسي الحزينة المسكينة
أتمنى لو كنت دودة حقل
تلتوي في شقوقه مستكينه
أتمنى لو كنت ذئباً شريراً
لم تلوث خطاه أرض المدينه

أتمنى لو كنت طفلاً ضريباً

عصبت راحة الظلام عيونه

أتمنى لو لم أكن عبد حقد

وجنوت وغيرة وضعينه .

وكان يهتف في بساطة وعمق :

وناري ملعونة .. حاقدة

ولكن الشاعر سرعان ما أخذ يتحسس لرحلته اتجاهاً
جديداً ، ويتخذ لمشاعره وانفعالاته وطناً آخر غير الغربة
والضياع واللامكان .

ومن لون بشرته ، ومن إحساسه العميق بالمرارة والحقد ،
ومن طبول الذكر صاغ له وطناً بعيداً نائياً هو أفريقيا . كان
يدرك أنه بعيد ناء .. ولكن كان هذا يتفق مع بقاء إحساسه
بالغربة والفقد ، وكانت علاقته بهذا الوطن البعيد في البداية
علاقة إنفعالية خالصة .. فلقد انتقل إليه بكافة أدواته .
مشاعره الحاقدة المتوفرة ، رؤاه الحزينة ، الطبول المجلجلة ،
إلى جانب استعانتة بعناصر محلية من الريف المصري كالحارث

والسواقي والمناجل.. ولم يكن غريباً عن الريف المصري فلقد
قضى فيه سنتين أثناء الحرب العالمية الثانية .

وفي البداية أيضاً كانت أفريقيا طريقاً للخلاص الذاتي ..
كانت ذاتاً كذاته تريد أن تستفيق من أحقادها ، وتتححرر من
قيودها وتخرج من أقيبتها المظلمة ..

أفريقيا .. استيقظي من ذاتك المظلمة

استيقظي من نفسك القابعة ..

كانت أفريقيا وطناً بعيداً نائياً ، كانت طريقاً وهدفاً ..
فأخذ يلونها بلون مشاعره ، ويوحد تاريخه وتاريخها .. ويخلع
عليها مأساته الخاصة ، ويبصر من خلالها بخلاصه المنشود :

لتنفض جثة تاريخنا

ولينتصب تمثال أحقادنا

آن لهذا الأسود المنزوي

المتواري عن عيون السنى

آن له أن يتحدى الورى

لقد أصبحت له أفريقيا رؤيا تحريرية ، يتخلص خلالها من
أزماته الباطنة ويخلع عليها صراعه النفسي المرير .. فيقول
على لسانها أو تقول أفريقيا على لسانه :

إنني مزقت أكفان الدجى

لم أعد مقبرة تحكي البلا

لم أعد ساقية تبكي الدمن

ويهتف بالملايين الأفريقيين أو تهتف به ..

يا أخي وكل أرض وجعت شفتاها

واكفهرت مقلتاها

قم تحرر من توأبيت الآسى

إنه يستيقظ من ذاته الحزينة الأسيانة ، وكذلك تستيقظ
أفريقيا وتتألق في ضوء الفجر ..

الفجر يدق جدار الظلمة فاسمع ألحان النصر

ها هي الظلمة تتداعى .. تساقط تهوى في دعر

ها هو ذا شعبي ينهض من إغماءته عاري الصدر

وهو أيضاً قد صحا :

إني صحوت .. صحوت من أمسي

وذي فإسي تهد قبوره هدأ

لقد صحا الشاعر من أقبيته الرطبة ، من ظلماته الحاقدة ،
وامتدت فروع نفسه تحمل الورد على أطرافها الوضيئة .

لقد كانت إفريقيا رمزه الأكبر لخلاصه الداخلي ووسيلته
للارتباط شيئاً فشيئاً بالواقع الموضوعي الكبير ، وعودة الثقة
إلى نفسه ، الثقة بنفسه ، والثقة بالإنسان وبالحياة .

ومن هنا أخذت افريقيا نفسها تتخذ رؤيا شعرية جديدة ..
لم تعد طبولاً زاعقة ، ولا تماثيل حاقدة ولا أغنيات متوفزة
بل أصبحت صوراً هادئة يتدفق في عروقها دم الواقع
البسيط .. ينظر الشاعر من شرفته الجديدة فيبصر ..

سفناً تغدو وأخرى رائحة .

سفناً مكتظة بالأسلحة .

وبأبناء بلادي .

وبخيرات بلادي .

وبتاريخ بلادي .

وانفتح أمامه طريق رحب .. وتكشفت له حقيقة المشاعر
السلبية الصفراء .. التي عوقت حركته زمناً ..

ولأن الحزن نار باردة

تتمطى في صدور من جليد

بقيت إفريقيا مستعبدة

تخلع القيد إلى قيد جديد .

* * *

ولأن الضعف سجن

ولأن الخوف سجن

ولأن الماضي المظلم سجن

بقيت أفريقية مستعبدة

تنقب السجن إلى سجن جديد

ولم تعد المعركة معركة إفريقيا وحدها .. لم تعد معركة
لونية .. بين أبيض وأسود ، بل أصبحت معركة قيم إنسانية

عامه معركة بين استعمار الشعوب ، بين طغاة وأحرار ثائرين ؛

— ذات يوم طرّقوا الباب ومروا داخلين .

من أنتم ؟ ماذا تريدون ؟

وماذا تحملون ؟

لكنهم ألقوا إلى قرب الجدار جثته .

وحدقت في وجوه الذكريات الميتة .

وجففت مدامعي دموع الآخرين .

وتلقت روحه مشاعر الانتصار والظفر .. وكانت

مشاعر بسيطة .. بسيطة .. صادقة .

— غداً يمر موكب الجوع بداربنا القذر .

فاخضوضري يا سنوات القحط وانزل يا مطر .

اغرق حقول الأرز والقمح واغرق النهر .

وامسح بكفك الرمادية أحزان الشجر .

لا بد أن تصبح يوماً غلة الحصاد لي .

وتصبح السماء والأرض ومجرى الجدول .

وتنتهي مجاعة التراب والبشر !
حقاً .. لقد توج ضوء النهار جبينه الظافر .

* * *

ومع الحركة الدائبة لهذه الرحلة الشعرية كانت لغة الشاعر
وتعابيره وصوره تتطور بتطور مراحل وانتصاراته وقيمته
الجديدة ..

في بداية الرحلة كانت الغنائية هي الطابع المميز للكلمة
والتعبير .. وكانت تثب أحياناً إلى حد الخطابة .. وكانت
قدرة الشاعر الخارجة على التجسيد وإبراز القسمات لا تتعدى
حدود الصور الجزئية .. وكانت الرؤى والصور الشفافة
بالانفعالات والمشاعر المتوفرة . ثم أخذت هذه الغنائية تخف
شيئاً فشيئاً فلم تعد القيمة الأولى للتعبير .. بل أصبحت أداة
لإبراز الدلالة .. واختفت الخطابية إلا في بعض المقطعات
الصغيرة في مرحلته الأخيرة .. عندما تعلو طبول أفريقيا ..
ويشتد الحنين الجارف إلى الخلاص الأخير .

وأصبحت قدرة الشاعر على التجسيد والتصوير وإبراز
الصفات ذات طابع متكامل إلى حد كبير ، لا يقف عند
حدود الجزء ، بل يمتد فيشمل القصيدة كلها كما في قصيدته
العملاقة « الطوفان الأسود » ، وفي قصيدة « مات غداً » .
ولكنه كثيراً ما احتفظ بمقطعات منفصلة وصور مجتزئة داخل
القصيدة الواحدة كما في قصيدته « أغاني افريقيا التي تصكاد
تكون من أكثر من مقطوعة مستقلة .. لا يجمعها إلا الرؤيا
الأفريقية العامة .. وصوت الطبول .

لقد تطورت أدوات الشاعر التعبيرية مع تطور وعيه
وتكامل حسه بالواقع . وما تزال أمامه مراحل جديدة
ما أجدره بأن يخطوها في ثقة .

واليوم يقف محمد مفتاح الفيتوري في مستهل طريق
جديد ، وخلص إليه بعد كفاح صادق مرير ، يقف جسوراً
غير هياب وعلى سنه التي لا تتجاوز الخمس والعشرين ترقد
مسئوليات جسام ، نحو هذه الرؤيا الإنسانية الصادقة التي
امتلا بها وجدانه .

ونحو هذا الطريق الممتد أمام جبينه الظافر .. طريق
الإنسان المكافح والحياة الصاعدة .

فما أروع ما ننتظره من أغنيات في رحلته البطولية
الجديدة .

محمود أمين العالم

أحزان المدينة السوداء

على طرقات المدينة
إذا الليل عرّشها بالعروق
ورش عليها أساه العميق
تراها مطأطئة في سكينه
محدقة في الشقوق
فتحسبها مستكينه
ولكنها في حريق !

* * *

على طرقات المدينه
و حين يشيد الظلام
تماثيله المرمرية
ويهدمها في عقوق
وتهبط بالكائنات
سلامه اللولية
لماض سحيق ، سحيق
وتغرق في الذكريات
سوا حله العنبريه
وتوشك ألا تفيق
وينهض في كل ذات جدار
من الطين ، والماس ، والشهوات
وينعس ليل ، ويصحو نهار

يصفُ القناديل للظلمات
هناك تجف دماء السكينة
جفاف القبور

ويصبح قلب المدينة
كشيء حقير

كمدفأة في الهجير

كمسرجة في طريق الضرير

كافريقيا في ظلام العصور

عجوز ملفعة بالبخور

وحفرة نار عظيمه

ومنقار بومه

وقرن بهيمه

وتعويذة من صلاة قديمه

وليل كثير المرايا
ورقصة سود عرايا
يغنون في فرح أسود
وغيبوبة من خطايا
تؤرقها شهوة السيد
وسفن معبأة بالجواري الحسان
وبالمسك ، والعاج ، والزعفران
هدايا بلا مهر جان
تسيرها الريح في كل آن
لأبيض هذا الزمان
لسيد كل زمان

* * *

وتمتد مزرعة في خيال الوجود

ستكسو عراة ، وتعري عراه
وتجري كآباتها في عروق الحياه
وتصبغ لون المياه
وتصبغ وجه الإله
وتضحك أحزانها في الشفاه
وتنبت حتى الطغاة
وحتى العبيد
وحتى الحديد
وحتى القيود

وتنبت في كل يوم جديد

* * *

ولكنهم حين يبني الظلام
على طرقات المدينه

حواجز من حجر أسود

يمدون أيديهم في سكينه

إلى شرفات الغد

وهم صرخات سجينه

بارض سجينه

وأيامهم ذكريات طعينه

لأرض طعينه

وأوجهم كالأكف ، حزينه

تراها مطاطئة في سكينه

محدقة في الشقوق

فتحسبها مستكينه

ولكنها في حريق !

البعث الأفريقي

إفريقيا ..

إفريقيا استيقظي ..

استيقظي من حلمك الأسود

قد طالما نمت .. ألم تسامي ؟

ألم تملّي قدم السيد ؟

قد طالما استلقيت تحت الدجى

مجهدة .. في كوخك المجهد

مصفرة الأشواق ..

معتوهة

تبني بكفيها ظلام الغدِ

جوعانة تمضغ أيامها

كحارس المقبرة المقعدِ ..

عريانة الماضي ..

بلا عزة تتوج الآتي ..

ولا سوددِ !

* * *

إفريقيا ..

إفريقيا استيقظي

استيقظي من ذاتك المظلمة

كم دارت الأرض حواليك ..

كم دارت شمس الفلك المضرمة

وشيد الناقم ما هدمه ..

وحقر العابد ما عظمه ..

وأنت لا زلت كما أنت ..

كالجمجمة الملقاة ..

كالجمجمة ..

واعجبا ألم تفجر شرايينك سخرياتهم ..

يا أمه !

* * *

إفريقيا ..

إفريقيا استيقظي ..

استيقظي من نفسك القابعة

أكل ما عندك أن تصبحي مزرعه

للأرجل الزارعه

أكل ما عندك أن تلعقي أحذية المستعمر اللامعه

أكل ما عندك أن ترقدي

خاملة .. خائرة .. خاضعه

أكل ما عندك أن تضحكي

هازئة بالقيم الرائعه ..

أكل ما عندك أن تُصدري قوافل الرقيق ..

يا ضائعته !

* * *

إفريقيا ..

إفريقيا النائبة

يا وطني .. يا أرض أجداديه

إني أناديك ..

ألم تسمعي صراخ آلامي وأحقاديه !
إني أناديك ..

أنادي دمي فيك ..

أنادي أمتي العاريه ..

إني أنادي الأوجه الباليه

والأعين الراكدة .. الكايه ..

فويك إن لم تحضني صرختي

زاحفة من ظلمة الهاويه

عاصفة بالأبيض المعتدي عليك ..

يا إفريقييا الغاليه ..

* * *

لتنفض جثة تاريخنا ..

ولينتصب تمثال أحقادنا

آن لهذا الأسود .. المنزوي
المتواري عن عيون السنا
آن له أن يتحدَّى الورى ..
آن له أن يتحدَّى الفنا ..
فلتنحن الشمس لهاماتنا ..
ولتخشع الأرض لأصواتنا ..
إنا سنكسوها بأفراحنا ..
كما كسوناها بأحزاننا
أجل .. فإننا قد أتى دورنا
إفريقيا
إنا أتى دورنا !

ثورة قارة

لشعر : د. محمد

كانت جموع السحب ..
كان الدجى يرخي جناحيه على القرية !
وكانت الأوجه ذات الأسى ..
ذات العيون الاستوائية ..
قد انزوت خلف سراديبها
تحلم بالنار ، وبالثورة
تحلم بالشار لتاريخها ..

من العدو الأبيض الجثة ..

* * *

وقال طفل أسود :

يا أبي ، إني أخاف الرجل الأحمر
فهو إذا أبصرني سائراً يبصق فوق الأرض مستكبراً
فلا تدعه يا أبي بيننا

فهو غريب فوق هذا الثرى
اقتله .. اقتله ..

فيا طالما مزق أعماقي مستهترا !

* * *

وقال شيخ مقعد ..

شقت جبهته السوداء فأس الزمن ..
كنت صغيراً ..

عندما أبصرت عيناى وجه الأبيض المحتقن
ولم أزل أذكر لى إخوة
مشوا عبيدا .. تحت ثقل القيود
والسيد الأبيض من خلفهم
وسوطه ملتصق بالجلود ..

* * *

ولم أزل أسمع أصواتهم ..
والعرق الدامى يغطي الجباه ..
والشمس من فوقهم ..
موقد أحرق حتى العشب ..
حتى المياه !

ولم أزل أذكرهم كلهم
ذوو الوجوه الصارمات الوجوه

بلال، والنمر.. ودود الذي لما تحدى بطشهم أعدموه!

* * *

وحينما قلت : إلى أين هم ماضون ؟!

قالوا : نحو أرض بعيدة ..

وحينما قلت : ألن ترجعوا ؟

.. مات الصدى فوق الشفاه البليدة !

* * *

وسكت الشيخ :

وشق الدجى صوت فتاة جثمت عن كذب

قالت ، وأبدت جسداً عارياً

تلفه عاصفة من غضب ..

هنا ، هنا وراء هذا الجدار اللامع ..

المطلي بأحزانتنا ..

يضطجع السيد .. في جنة
مستقوفة بعظم أجدادنا !..
فاختلجت تلك الوجوه ..
التي يا طالما ضاع أساها سدى
وانتصبت أذرعهم في الدجى
مثل محاريث علاها الصدا

* * *

وابتلع الصمتُ العميق ، البعيد
غابات افريقيا وما فيها
وعندما جاء الصباح الجديد
كان اللظى ملء روايتها !..

١٩٥٣

اغاني افريقيا

يا أخي في الشرق ، في كل سكن
يا أخي في الأرض ، في كل وطن
أنا أدعوك ..

فهل تعرفني ؟

يا أخا أعرفه .. رغم المحن

إنني مزقت أكفان الدجى

إنني هدمت جدران الرهن

لم أعد مقبرة تحكي البلى
لم أعد ساقية تبكي الدمن
لم أعد عبد قيودي
لم أعد عبد ماض هرم ..

عبد وثن

أنا حي خالد رغم الردى
أنا حر رغم قضبان الزمن
فاستمع لي .. استمع لي
إنما أذن الجيفة صماء الأذن

* * *

إن نكن سرنا على الشوك سنينا
ولقينا من أذاه ما لقينا

إن نكن بتنا عراة جائعينا
أو نكن عشنا حفاة بائسينا
إن تكن قد أوهت الفأس قوانا
فوقفنا نتحدى الساقطينا
إن يكن سخرنا جلادنا
فبنينا لأمانينا سجوننا
ورفعناه على أعناقنا
ولثمنا قدميه خاشعينا
وملأنا كأسه من دمنا
فتساقانا جراحا وأنينا
وجعلنا حجر القصر رؤوسا
ونقشناه جفونا وعيونا

فلقد ثرنا على أنفسنا
ومحونا وصمة الذلة فينا ..

* * *

الملايين أفاقت من كراها
ما تراها .. ملاً الأفق صداها ..
خرجت تبحث عن تاريخها ..
بعد أن تاهت على الأرض وتاهها
حملت أفؤسها وانحدرت من روابيها ..
وأغوار قراها !..

فانظر الإصرار في أعينها
وصباحُ البعث يحتاج الجباها
يا أخي في كل أرض عريت من ضيائها

وتغطت بدجاها ..
يا أخي في كل أرض وجمت شفتاها
واكفهرت مقلتاها
قم .. تحرر من تواييت الأسى
لست أعجوبتها .. أو موميها
انطلق فوق ضحاها ومساها
يا أخي قد أصبح الشعب إلها

* * *

جبهة العبد .. ونعل السيد
وأنين الأسود المضطهد ..
تلك مأساة قرون غبرت
لم أعد أقبلها .. لم أعد !

كيف يستعبد أرضي أبيض .
كيف يستعبد أمسي وغدي ؟
كيف يخبو عمري في سجنه
وجدار السجن من صنع يدي
أنا زنجي . !

وإفريقيتي لي لا للأجنبي المعتدي
أنا فلاح ولي أرضي ..
التي شربت تربتها من جسدي
أنا إنسان ولي حرיתי
وهي أغلى ثروة من ولدي
أنا حر مستقل البلد
وسابقى مستقل البلد

* * *

ها هنا وارىت أجدادي .. هنا ..
وهم اختاروا ثراها كفنا ..
وسأقضي أنا من بعد أبي ..
وسيقضي ولدي من بعدنا ..
وستبقى أرض إفريقيا لنا ..
فهي ما كانت لقوم غيرنا ..
نحن أهرقنا عليها دمننا ..
ومزجنا بثرها عظمنا ..
وشققناها بحاراً وربى ..
وزرعناها سيوفاً وقنا ..
وركزنا فوقها أعلامنا ..
وتحدينا عليها الزمننا ..

وسنهدىها إلى أحفادنا
وسيحمون علاها مثلنا
فاسلمى يا أرض إفريقيا لنا
اسلمى يا أرض إفريقيا لنا

أنا زنجي

قلها لا تجبن .. لا تجبن !

قلها في وجه البشريه ..

أنا زنجي ..

وأبي زنجي الجد .

وأمي زنجيه ..

~~أنا أسود ..~~

أسود لكنني حر أمتلك الحريه

أرضي إفريقيه ..

عاشت أرضي ..

عاشت إفريقيه !

* * *

أرضي .. والأبيض دنسها

دنسها المحتل العادي ..

فلامض شهيداً ..

وليمضوا مثلي شهداء أولادي

ف وراء الموت .. وراء الأرض

تدوي صرخة أجدادي ..

لستم بينينا إن لم تذر الريح رماد الجلال

* * *

لستم بينينا إن لم يحل الغاصب عنها مدحورا
إن لم تخلع أكفان الظلمه ..
إن لم تتفجر نورا ..
إن لم يرتفع العلم الأسود ..
فوق رباها .. منصورا
إن لم يحن التاريخ لكم جبهته فرحان فخورا ..

* * *

الفجر يدك جدار الظلمه ..
فاسمع ألحان النصر ..
ها هي ذي الظلمة تدأعى ..
تساقط .. تهوي في زعر
ها هو ذا شعبي ينهض من إغماءته ..
عاري الصدر ..

ها هو ذا الطوفان الأسود ..
يعدو عبر السد الصخري ..
ها هي ذي إفريقيا الكبرى ..
تتألق في ضوء الفجر ..

الى وجه ابيض

ألئن وجهي أسود
ولئن وجهك أبيض
سميتني عبدا
ووطئت إنسانيتي
وحقرت روحانيتي
فصنعت لي قيدا
وشربت كرمي ظلما

وأكلت بقلي ناقما
وتركت لي الحقدا
ولبست ما نسجت خيوط مغازلي
وكسوتني التنهيد والكدا
وسكنت جنات الفرديس
التي بيدي نحت صخورها الصلدا
وأنا .. كم استلقيتُ في كوخ الدجى
أتلغح الظلمات والبردا
كالشاة .. أجتز الكآبة
عاقداً حولي دخان تفاهتي عقدا
حتى إذا انطفأت مصابيح السما
وانساب نهر الفجر ممتدا
أيقظتُ ماشيتي الهزيلة

وانطلقتُ أقودها لمراحها قودا
فاذا سُمنٌ نعمت أنت بلحمها
ونبذت لي الأمعاء والجلدا !

* * *

لا يا أخي . !

إن التهاب مشاعري هيهات بعد اليوم أن يهدا
هيهات

لم أخلق عليها بومة
تقتات بالديدان أو قردا
أنا كائن أمي وأمك طينة
والنور ليس لأينا جدا
فإلام تحرمني حقوقي ؟
بينما تلقى السعادة أنت والرغدا

والإلام تستعلي بأنفك سيدا ؟

وأنا أطاطيء هامتي عبدا

* * *

إني صحوت ..

صحوت من أمسي

وذي فاسي تهد قبوره هداً

سأكون نارا .. فالحياة تريدني نارا

وأرقص فوقها رعدا ..

فاخلع براقع كبريائك ..

إنني أسكنت جيفة ذلتي لحدا

واضمم يديك إلى يدي ..

نشيداً معاً صرح المحبة بيننا شيدا

* * *

إني أخوك فلا تعق أخوتي ..
فتزيد بركانيّتي وقدأ ..
إياك .. لا تبذر بذور عداوتي
فتعود تحصد شوكتها حصدا
إياك لا تزرع حقولك عوسجا
إني زرعت حقولي .. الوردأ

١٩٤٨

الطوفان الأسود

لقد غسل النور أرضك ..
حتى سراديبك الرطبة المظلمة
مشى الفجر فيها بأنفاسه ..
يفضّض أيامك القادمة
فهل تسمعين أغاني الزنوج
تدويّ مثقلة بالحياه
وهل تبصرين وجوه العبيد ؟

تقهقه حول نعوش الطغاه !
لقد كنت مقبرة ، ضخمة
تدوس عليها خيول الغزاه
وكنت بقية أسطورة .. ملوثة
بصقتها الشفاه !

* * *

« بلاد العبيد .! إفريقيا .. »
يا بلاد الزوج الحفاة العراه
نرى كيف يمشون في عريهم
وكيف يعيشون خلف الحياه ؟
« وأجسامهم
ذلك الأبنوس العجيب !

المفصل مثل البشر

ونيرانهم في شعاب الجبال

وأطفالهم في بطون الشجر .. «

متى أجد المال ؟

كي أشتري حذاء ، وكلباً ، وثوباً جديد

وأمضي إلى أرض افريقيا

لأصطاد قافلة من عبيد ! «

فإني أمرؤ أبيض كالشلوج

ولست عظيماً لأنني فقير

وقد كان لي رفقة ..

ثم عادوا سراة عظاما

فلم لا أسير ؟ «

لكم أشتهي جسداً دافئاً

مهيّباً .. لزنجية جامعته
فقد قيل أن لحوم الجوّاري
لها نكهة .. ولها رائحة ..
بلاد الكنوز ! إفريقيا

* * *

يا بلاد الزنوج الحفاة العراه
سأتيك يوماً .. كغاز جديد
يريد الغنى ، ويريد الحياة »

* * *

كذلك عشت ألوف السنين
تخرين ، فوق خطايا وثن ..
إلى أن تسلك ضوء الصباح إليك

فمزقت عنك الكفن
وقمت كاردة تتلقَّى الضحى
وتحوّل مجرى الرياح
وتحفر تاريخها من جديد
على جبهة الشمس حفر الجراح !
فهل تسمعين أغاني الزنوج
تدويّ مثقلّة .. بالحياه
وهل تبصرين وجوه العبيد
تقهقه حول نعوش الطغاه !

* * *

كذلك كانت يغني لها
ويقرع ناقوسه في جنون ..

وإن لم تزل تتلوَّى القيود على قدميها
وتبني السجون على أرضها ..
وتقام المشانق ترتجل الموت في كل حين !
فقد كان يحمل في روحه
تمرد أجداده أجمعين

* * *

تمرد جد قضى ليلة يصب المياه على الموقد
ولما أبى ... !
مزقته الشياط
فحطم جمجمة السيد ؟
وآخر كانت تنام الشياه وتصحو
على صوت مزماره

وفي ليلة ، كفرت روحه
بجزارها ، وبجزاره
فهب ، فأشعل أحقاده
فسالت جحيماً بوجه الصنم
وأبصره الغد فوق الرمال
تكفنه عزةُ المنتقم !

* * *

وآخر أسود بادي العبوس
طويلٍ ، رفيعٍ ، كصاري سفينه
وقد حدثوا أن ميلاده
بإحدى ليالي الشتاء الحزينه
كما حدثوا أن أول جيش من البيض

دنس أرض الوطن !
ينام بمقبرة حفرتها محاريثه
خلف سور الزمن
وقد كان يؤمن في عمقه
بحريّة السود ، والكادحين
وحتى الطغاة الذين انتهوا
وآلهة البشر الساقطين ..

* * *

وكلوت حين يغطي الحياه
بأفراحها ، وبأحزانها
وكالصمت حين يضم الحقول
بأصواتها وبألوانها

تراءت له مثل صفصافةٍ
تفيء إليها جموع الظلال
وكانت أكف الهجير الضرير
تسمّر أقدامه في الرمال
فوسّد أحزانه صدرها
وأطبق أجفانه في سكون
كميتٍ تداعبه موجة
وتهوي به في اصطخاب حزين
وراح يرى ملء أحلامه
جزائر غارقة في الغمام
يظللّها نغمٌ أزرقٌ ..
شفيف ، شفيف بلون السلام
وكانت هنالك عند الشمال

حقول متوّجة بالغلال
وقوم من السود مستغرقون
يرصون أكداستها في التلال
وأصواتهم وزغاريدهم
ترفف صاعدةً من بعيد
كما يتصاعد كل صباح ضبابُ الحقول
ببطء شديد

وحين تصف طيور الغروب
على الأفق أجنحتها المذهبات
وتمضي تنقّر ثوبَ السكون
بكل مناقيرها المتعبات
تراهم يلوحون فوق الدروب
أو يتوارون خلف الشجر

وهم عائدون إلى دورهم
بأيدي مثقلة بالزهر

* * *

وأسكره حلمه العاطفي^٤
فبعثر أشواقه أجمعين
وعانق إخوانه باكياً
ومد يديه إلى الآخرين
وهزته أفراحه .. فافاق
على ظل صفصافة واقفه
وكانت جموع الزنوج العراء
تحركها ثورة العاصفه
فسار يغني مع السائرين

وهم زاحفون إلى الطاغية
ويحفر فوق جدار الزمان
أغاني إفريقيا الدامية !

١٩٥٣

مات غداً

مات .. !

فلم تحزن عليه قطرة من المطر
ولا تجهمت أوجه حفنة من البشر
ولا أطل ذات ليل فوق قبره القمر
ولا تلوت دودة كسلى ..

ولا انشق حجر

مات غداً ..

متّسخ الجثة ..

منسيّ الكفن

كحلم ..

— واستيقظ الشعب —

كإعصار نتن !

مرّ على حقول الورد ساعة السحر

* * *

مات . !

وملء روحه المسودة المحترقه

ماض يغطيه دم المشانق المعلقة

وصرخات الثائرين في السجون المطبقة

وأوجه العجائز الأليمة .. المشققة

وهنّ يرفعن إلى السماء ..

في أسي ذليل
أذرة معوجة مثل مناجل الحقول
وأعيننا يغوص فيها ظل مشنقه !

* * *

يا ابني .. !
ترى أين مضى الجند بوجهك الحبيب
فحرموني شمة الثوب .. ونشقة الطيوب
الله .. ما أجمله ابني .. في شبابه القشيب
كانما يمشي على كل عواطف القلوب
إبني ؟

وأوصد السجان باب سجنه الكبير
وزحفت سلسلة راح يجرها الخفير

وأَنْهَار كَرْبَاج يَلْف اللَّيْل بِالنَّحِيبِ

* * *

— وَأَنْتِ يَا أَبِي

أَلَنْ تَعُودِ لِي قَبْلَ الشِّتَاءِ ؟

إِنَّا جَمِيعاً لَمْ نَزَلْ نَبْكِي ..

نَضْجُ فِي الْبُكَاءِ .

أَنَا ، وَإِخْوَتِي وَأُمِّي

فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ

فَعَدَ لَنَا

كَيْ لَا يَسْمُونَا يَتَامَى فَقَرَاءِ

كَمَا مَرَّةً سَأَلْتُ كُلَّ النَّاسِ فِي حُزْنٍ شَدِيدٍ

أَبِي بَرِيءَ !

فَلَمَّاذَا صَفَدُوهُ فِي الْحَدِيدِ ؟

فاطرقوا ..

كانهم جميعاً سجناء

* * *

و ذات ليل طرقوا الباب ومروا داخلين

من أنتم ؟

ماذا تريدون ؟

وماذا تحملون ؟

أما كفاكم أنهم وراء قضبان السجون

لكنهم ألقوا إلى قرب الجدار جثته

وحدقتُ فيَّ وجوهُ الذكريات الميته

وجففتُ مدامعي دموعُ الآخرين

* * *

غداً يمر موكب الجوع بدربنا القدر

فاخضوضري يا سنوات القحط
وانزل يا مطر ..

أغرق حقول الأرز والقمح
وأغرق النهر

وامسح بكفك الرمادية أحزان الشجر
لا بد أن تصبح يوماً غلةُ الحصاد لي
وتصبح السماء والأرض ومجرى الجدول
وتنتهي مجاعة التراب .
والبشر !

* * *

وذاث يوم مظلم رطب ..
كسرداب طويل ..
صحا يهز راحتيه في تشنج ذليل

وكانت الأيدي التي تحكي مناجل الحقول
تمتدُّ في عينيه سوداء كأشجار النخيل
فانهار فوق الأرض ..
في حشيرة ممزقة
ثم تدلى من جدار الأفق جبل مشنقه
وجثة باردة تسقط في الوحول

حدث في أرضي

أنا لا أملك شيئاً غير إيماني بشعبي ..
وبتاريخ بلادي
وبلادي أرض افريقيا البعيدة
هذه الأرض التي أحملها ملء دمائي
والتي أنشقها ملء الهواءِ
والتي أعبدتها في كبرياءِ
هذه الأرض التي يعتنق العطر عليها والخنول

والخرافات وأعشاب الحقول
هذه الأسطورة الكبرى .. بلادي

* * *

ذات يوم لم يزل يثقل بالنقمة أرواح جدودي
ذات يوم لم يزل يزحم أيام وجودي
وقفت أرضي ترنو للمقادير حزينه
وقفت كامرأة تنسج أكفان السكينة
وقفت مطرقة الرأس مهينه
ورأت في نظرة واحدة .. أو نظرتين
نظرة خائنة صفراء ذات أجنحه
سفناً ترحم أعماق البحار النازحه
سفناً تغدو ، وأخرى رائحه
سفناً مكتظة بالأسلحه

وبأبناء بلادي
وبخيرات بلادي
وبتاريخ بلادي
ورأت ملء شقوق الأرض آثار سياط داميه
ورؤوساً عاريه
ووجوهاً باكيه
ودروباً كالقبور اختلطت كتل السود بها والماشيهِ !!

* * *

ذات يوم أبصرت أرضي حقول الأبنوس الجاريه
وهي تبكي في سكون وضجر
تحت رحمة البشر
وإرادة السماء والقدر

* * *

ورأت كيف تدور الساقيه
فوق أنهار بلادي
ورأت كيف يدوس الطاغيه
فوق أبناء بلادي
ورأت في نظرة واحدة أو نظرتين
كلمة يكتبها الأبيض في ليل بلادي
يا بلادي

* * *

ذات يوم وقفت أرضي حزينه
حينما لاحت على الأفق سفينه
ولأن الحزن نار بارده
تتمطى في صدور من جليد

بقيت افريقيا مستعبده
تخلع القيد إلى قيد جديد !

* * *

ولأن الضعف سجن
ولأن الخوف سجن
ولأن الماضي المظلم سجن
بقيت افريقيا مستعبده
تنقب السجن إلى سجن جديد !

* * *

ولئن الموت عبد
ولئن الظلم عبد
ولئن الحر عبد في بلاد مستغله

ولئن القدر السيد عبد يتأله
والنبوات مظلّه
والديانات تعله
هب من كلّ ضريحٍ في بلادي
كلّ ميت مندثر
كلّ روح منكسر
ناقما على البشر
كل اعداء البشر
كافراً بالسما ، والقضاء والقدر

١٩٥٥

الليل والهديقة المهجورة

الليل . .

ليل العبيد المتوجين .. العرايا

القابعين تماثيل ..

فوق أرض الخطايا

الآثمين .. النبيين ..

القاتلين .. الضحايا

مثلي .. ومثلك

نحن المسوخ ..

نحن السبايا ..

* * *

الليل ..

هذي العيون المصعوقة المصدومه .

هذي الشفاه الغلاظ

المصبوغة .. المحمومه ..

هذي الحكايا القديه ..

هذي الجراح الأليمه ..

هذي السواقي ..

التي تطحن العظام الرميمه

* * *

الليل ..

في كل ليل ..

يدوس فوق شعوري !

جنازة تدفن الحزن

في قبور السرور .

سحابة تمطر الموت

فوق روض نضير ..

وجهه إله غريب

معذب .. مقهور ..

* * *

قد كان لي في رباه

حديقة مهجوره ..

يجرّد البوم فيها
أحزانه المستوره
ويلفظ الشجر الأسود .. العجوز عطوره ..
ويدفق الصمت .. واليأس ..
والظلال الحقيقه !

* * *

دخلتها ذات يوم ..
على جناح الرياح ..
فأجهشت في ربيعي ..
وأظلمت في صباحي ..
فرحت أطرده عنها
كأبة الأشباح ..

ورحت أخفي دوامي جراحها ..
في جراحى !

* * *

وكم صباح سجين
أطلقته من دجاها ..
ونهر من دموع
فجرتة في ثراها
وشفق .. علقته كفاي
فوق سماها ..
وطائر شقَّ عنها .. جمودها
فشجاها ..

* * *

وفجأة أبصرتُ
أعين الليالي الضريه
حديقة تتغنى ..
فيها طيور كثيره ..
وكان ثمة أصداءُ
صرخة مذعوره
لطائر باحثٍ ..
عن حديقة مهجوره

* * *

يا ليلُ ..
يا جبل الصمت
يا ضريح الظلال ..
ترى أغطتك بعدي

أوراق ريح الشمالِ
فحدثتك .. ومرت ..
عن أمسياتي الخوالي
وعن حديقة ورد
تجعدت في خيالي ؟

١٩٥٤

الى امرأة عاشقة

لا .. لم يكن وهماً هواك
ولم يكن وهماً هواي ..
إن الذي حسبته روحك
قد تبعثر في خطاي ..
ما زال طفلاً صارخاً
جوعان يرضع من دماي !

* * *

وترددين ..
وأنت ذاهله ..
مطاطئة الجبين !
كيف استحلت على يديه
تراب تمثال مهين ..
كيف اختفت أيامه البيضاء
من عمري الحزين !

* * *

وترددين ..
وملء جسمك
رعدة متندمه ..
كم كان يهواني !..

ويعبد روجي المتأله
ويود لو يلقي ضياه
على سماء المظلمه

* * *

وتضج في دمك الشهي
مجاة الشوق الدفين
فأراك في جدران غرفتك الحزينه
تركضين ..

كالنور في قيد الدجى ..
كالدمع في عين السجين ! ..

* * *

وأراك مطرقة على الأوراق
في صمت ضجر ..

وهو مُك السوداء

حولك مطرقات تنتظر ..

كعجائز متجمعات

حول ميت يحتضر ..

* * *

ويمر يومك ميت الخطوات

كالشيخ الضرير ..

اسوان يثقله الدجى ..

والرعب ، والمطر الغزير

وتطل خلف زجاجه

أطياف شاعرك الأثير .

* * *

وتجيء مركبة المساء
بصوتها القلق الكئيب
سوداء تجثم فوقها
أقدام عملاق رهيب
وتجرها خيل محدة
كالسنة اللهيب

* * *

وتروح واقفة ببابك
في عناء تنتظر ..
فأراك هابطة
تشد خطاك أغلال القدر
حتى إذا ضمتك ..

غابت في الظلام المعتكر

* * *

وتظل توغل في المسير

تشق أستار الغيوب

وتظل تقذفها الدروب النائيات ..

إلى الدروب ..

ويظل قلبك ..

مغلقاً فوق المواجه والندوب

* * *

وهناك خلف جزيرة مجهولة

خلف البحار ..

تنمو على شطآنها السوداء

أحزان النهار
وتشب أشجار الخطايا
مثقلاتٍ بالثمار

* * *

ستكف مركبةُ العواصف
عن موالاة المسير
وستهبطين غريبه ..
خرساء ، جامدة الشعور
تتكلمين بلا صدَى
وتقهقهين بلا سرور

* * *

ولسوف يزحف ألف وجه

ألف عبدٍ مارد ..
من ألف كهفٍ مظلم
من ألف قبوٍ بارد
ولسوف يستبقون نخوك
في عويلٍ حاقد ..
ولسوف تضطربين
في ذعر عميق النظرة
وتموت صرختك الرهيبه
في ضجيج الزحمة
وكانما حملتك رجلا آدميٍّ ميت

* * *

لكن أجنحة محلقه

ستقبل من بعيد
في لهفة مجنونة
تطوي انتفاضتها الحدود
وتضم رعبك في أسي
وتعود في وله شديد

* * *

وستطبقين جفونك
المسحورة المتبسمة
والحب يوقد في سرايب الكآبة أنجمه
وعلى شفاه الكائنات قصيدة مترنمه
لا .. لم يكن وهماً هواك
ولم يكن وهماً هواي
إن الذي حسبتَه روحك

قد تبعثر في خطاي
ما زال طفلا صارخا
جوعان يرضع من دماي

١٩٥٤

الآفعم

في ذلك الركن من قلبك

الحقير المرائي ..

تمتد مقبرة ضخمة ..

بغير انتهاء

فيها عبيد عرايا الأسى

عرايا الشقاء

تحمل أيديهم الشوهاء

حقد الدماء

وملء أرواحهم

نقمة على الأحياء

رأيتهم يتهاوون

في جمود المساء

والرياح من حولهم

كالحوائط السوداء

والليل بئر كبير

مختلط الأشياء

وأنت .. أنت وراء الجميع

طيف القضاء

تضطجعين بصمت مر

كطعم الدماء

في هودج ذهبي^٣
مزر كش بالضياء
يدوس فوق عظام الفانين
والغرباء
فتستبد بأذنك لعنةُ الأصدقاء
وتضحكين بحقدٍ
بلذة باشتهاء
وتحلمين كأفعى
تنام في استرخاء
على رمال الصحاري
اللهيَّة الصفراء
بفارس قدماه
فوق جبين السماء

أسود قد أنضجته
مواقدُ الصحراء ..
تفوح من إبطيه
رائحة الأنبياء ..
وفي خطاه ..
جلال النبوغ والكبرياء

١٩٥٤

لقاء

لعلك ما زلت مثلي ..
تعيشين في رعشة الليلة الخالده
فقد كان ملء الفضاء عويل
وملء عواطفنا الجامده ..
وكان لقاءً حزين ..
حزين كأوجه أيامنا الراكده ..
عرفنا به كيف يبكي التراب

وترتعد الجثث الهامده !

* * *

وحدقت في بوجه غريب
عميق الكآبة .. عاتي القلق .
رأيت عليه خمول الرماد .
وذل الأنين .. وحزن الغسق
فشردت عيني في كل وجه
وأطلقت روعي ملء الأفق
وألصقت فوق فمي بسمة ..
كانفاس مجرة تحترق ..

* * *

ورحت أغني
باغنية ملوثة .. بدماء الخطايا ..

تردها صرخات السكاري
إذا طوفوا ببيوت البغايا
ورحت أخرجهم خطوي بعيداً
لأخفي عن الذكريات أسايا ..
لكي لا أراك ..
لكي لا أرى الثلوج تغطي الحقول العرايا

* * *

لكي لا أرى جثة ميتة ..
تطل بعينين نحو الحياة
بعينين عذبتاني طويلاً
وعلمتا كبريائي الشكاه
بعينين كنت أرى فيها
خضوع العبيد ، وبطش الطغاه

وكنـت إذا ما سئمت تراي
حلقتا بي نحو الإله !

* * *

وغبتِ .. وغبتُ بقلب الزحام
زحام الطريق .. الطويل .. القديم
وكل الذي بين أجفاننا
سما مكفنة بالغيوم
وكل الذي خلف أعماقنا
مقابر معشوشبات الهموم
وكل الذي سوف يبقى لنا
من العمر .. رعشةُ حبٍ عظيم

١٩٥٥

الشك

كان الدجى أسود من لعنةٍ
من صرخة حاقدة في الصدور
وكان طولُ الدرب ، طولَ الأسى
طولَ اكتابات شبابي النضير
وكانت السحب تغطي السما
كانها أكفانُ ميت فقير
وكنت أمشي متخماً بالردى

كدودة تزحف بين القبور

* * *

وكنتِ في فكري ، في أعيني ..

كنت أمامي في الفضاء الكبير

امرأة عريانة ترتمي

فوق سرير خشبي صغير

سمعت وحدي خلف سور الدجى

خلف سكون الكائنات المثير

رجفتها رجفة صفصافة

تهزها ريح مساء مطير

حتى تعرَّت كل أغصانها

من عزة النور ، ومجد العبير

فارتعشت كل معاني الورى

ساقطة تحت حذائي الحقير
وانهار في سمعي صدى معبد
يهوي إلى الأرض حزين المصير
وعانقتني تقمة
لم تطف يوماً بأعماق إله صغير
وانبعثت ناري مسعورة
تأكل في صدري حتى الضمير
لكنني بالحق أطفأتها
أطفأتها بالاحتقار الكبير
فأي أنثى .. أي مخلوقة في الأرض
تستأهل هذا الشعور !؟

١٩٥٤

هواها

تقولين أن يدي ضيعتك
وقد كنت تحيين ملء عروقي
وان هواك العظيم .. العظيم
زجاج تحطم فوق طريقي

* * *

وإنك أصبحت قبراً قديماً من الذكريات
يعيش بقلبي

ينام الشذى فوقه والعفونه
والورد والشوك جنب جنب

* * *

وأني أصبحت عنك غريبا
يمر عليك فلا تعرفينه
غريباً تلاقيتما مرة
وغطتكما ظلماتُ المدينة

* * *

إذن فاسمعي إنني سأغني
سأعزف لحن الجناز الكبير ..
فقد آن لي أن أهز الحياة بحزني ..
بكل مرآثي القبور

* * *

سيحيا بقلبي كلُّ صباح هواك ..
ويذبل عند الهجوع ..

فادفنه في خرائب نفسي
وألقي عليه تراب الدموع

* * *

وأسهر طول ليالي الشتاء
أضيء الشموع . وأطفي الشموع
وأقطف زهر الظلام الحزين
وأنثره فوقه في خشوع

* * *

وأحنو بكل كياني عليه
وألم جبهته الباردة

وأغرق ناري في شفتيه
وناري ملعونة حاقدته !
إلى أن يجيء الصباح الجديد
وينفجر الدم ملء السماء
فيحيا بقلبي هواك الشهيد
فأندبه خلف سور المساء !

١٩٥٤

الضحايا

الأرض مزحومة بالمصفدين الضحايا
والأفق غيمان .. غيمان مداهم الزوايا
والدرب منطفئ اللون
في شحوب البغايا ..
فقيم خطوك فوق العظام ..
فوق البرايا ..
وأنت عريان إلا من هموم العرايا

وغيمة من دموع ..
وخيمه من خطايا .
يا دائس الظلمة ..
ارجع محملاً بالشكايا ..
إن الطريق طويل ..
تغفو عليه المنايا ..

* * *

لكنه ظل يمشي
على جباه الصخور
معذب الوجه ، والنفس
والخطى .. والشعور ..
حتى تراءى له في ظلال بعض القبور
قبر غريب عليه بقية من زهور

فانهار يدفن عينيه
في أسي مستجير
ففي ثرى ذلك المدفن الصغير الصغير !
نامت قلوب البرايا
في قلب « ناجي » الكبير ..

* * *

وقال ، وهو كئيب
مستغرق في صلاته
كم شاعر مثل ناجي
مضيّع في حياته
وشاعر وهو حي
يمشون فوق رقاته
وشاعر جرّ دوه بالحقد من معجزاته

وشاعر توجوه على حطام بُناته
وشاعر خلّده والموت بعض صفاته
وشاعر مات حلم الخلود في نظراته

* * *

وقال . والدود نشوان من بقايا الضلوع
رُبَّ ليالٍ قضاها ناجي
بقلب وجيع ..
مثل نبي عظيم
مجلل بالخشوع
يبارك الساقطين ..
الباكين خلف الربيع
وينثر النور ، والحب في طريق الجموع
حتى إذا غسل الفجر وجهه بالدموع

مضى يوارى أساهُ
عن سخريات القطيع !

* * *

وبينما هو مصغ إلى السكون الرهيب
توشح الأفق بالنور والجلال المهيب
ورف صوت إلهٍ
بجنح من قريب
فيه غموض الدياجي
وفيه عمق الغيوب
وفيه دق النواقيس
وابتهال الغروب
وفيه حزن نبي معلق في الصليب
وفيه روح غريب

كروح ناجي .. الغريب

* * *

ورددت جنبات الفضاء رجع النداء
وراح يغمس عينيه في سحاب الضياء
وراح يسكر أذنيه من جلال الغناء
» إن الضحى مشعل في أصابع الظلماء
إن الربيع زهور على طريق الشتاء
إن الحياة دروب إلى قبور الفناء
إن العذاب جناح الشهداء نحو السماء

* * *

وظل يصغي إلى الصوت مطرقاً في سكينه
حتى إذا ابتلعت هوة الظلام حنينه
مضى ينفض عنه أعباءه وسنينه

ثم انحنى في خشوع ..
في رعشات حزينه ..
مقبلاً قبر « ناجي »
والريح تسفي جبينه
وعاد يدفع رجليه
نحو سور المدينه !

١٩٥٣

العائدون من الحرب

لقد عدنا .. أجل عدنا من الحرب ميامينا
على أعناقنا .. قد عبأوا النصر رياحيننا
ومن أفواهنا قد جَسَمُوا المجد .. أرانينا
لقد عدنا .. ولكن لا كما شئت أمانينا
إلا يا ليتنا متنا بعيداً عن أراضينا !

* * *

لقد عدنا من الحرب إلى الحقل .. إلى المصنع

لكي نحرث ، كي نبذر ، كي نحصد كي نجمع
لكي نبني للغير .. لكي نظهو ولا نشبع
لكي نحلم بالفجر الذي من يدنا يسطع
لكي نصنع حرباً ضخمة أخرى .. لكي نصنع

* * *

لقد عدنا إلى الأكواخ .. أكواخ أهالينا
وكنا قد كسوناها بأسمال أمانينا
فماذا أبصرت أعيننا غير مآسينا
وغير الطلل الموضع نبكيه .. ويبكىنا
وإن لج بنا الشوق للسناه بأيدينا

* * *

لقد عدنا ألا تبصرنا تبصر بلوانا
بقايا آدميين مساكين .. بقاياتنا

نجر جر خلقنا التاريخ أشلاء وأكفانا
ألا ليت الذي رقّعنا بالموت أبلانا .
ولم يبق لنا كالناس أشواقاً ووجدانا .

* * *

لقد عدنا .. أجل عدنا .. ولكن عودة المقهور
شربنا عرق الحرب .. أكلنا صداً التنور
لبسنا كفن الثلج .. سكنا جدث الديجور
وها عدنا إلى القيد .. إلى قيد الأسى المضفور
فيا ضيعة هذا العمر .. هذا الصدف المكسور

* * *

وقالوا .. قال رب السوط ، والقانون والقوه
سامضي قبلكم .. إني لكم . لقطيعكم قدوه
ولكنّا مضيّنا وحدنا نحتضن الهوى

وظل السيد المعبود في رقدته الحلوه
وكانت كأسنا الموت
وكانت كأسه الشهوه ...!

* * *

فماذا يبتغي الجلاذ ، ماذا يبتغي منا ؟
لقد سرنا كما شاء ، وعدنا لا كما شئنا
هدمنا ، وتهدمنا ، وعذبنا ، وعذبنا
وكم حلم سحقناه ، وكم مقبرة شدنا
وكم من مرة متنا ، وكم من مرة عشنا

* * *

فلا بارك هذي اليد ، لا باركها رحمن
إذا لم تسق بالحب طمانينية الحيران

إذا لم تك فأساً في جدار البطش والطغيان
إذا لم تك ميزاناً لروحانيه الإنسان
إذا عاشت لغير النور والرحمة والإيمان

١٩٥٥

هذا الشعب

مشى على الشوك أزماناً وأزماناً
وعانق الأرض جوعاناً وعرياناً
وخرَّ تحت أنين الفأس مقبرة
ودبَّ خلف زوايا الكوخ جرداناً
وذاب بين سواقي الليل أغنية .. حزينة
وذوى في الدوح أغصاناً
وعاش يسقي تراب الأرض من دمه

ويحصد الحقل أشواكاً ونيراناً !
حتى إذا قيل ماتت آدميته
وهو الذي هوّن الدنيا .. وما هانا
وقيل : لم تدع الآلام منه سوى
محنت .. يحمل الأيام أكفانا ..
تحرك المارد العملاق في دمه
وشب يزحم شرياناً فشرياناً
وحط من شرفات الموت صاعقه
وهب عاصفة .. وانساب طوفانا
وأبصرت مقلة التاريخ آلهة
مخلوعة ، وطواغيتا ، وأوثانا
وطاطأ القدر الجبار هامته
وخرّ فوق ثراه الحر إيماناً

* * *

آمنت بالشعب جوعاناً وعرياناً
آمنت بالشعب أسواناً وحيراناً
آمنت بالشعب .. بالشعب الذي اشتعلت
زهوره في يد الجلاد نيراناً !..
فهبَّ ترقص رجلاه على جرفٍ هاوٍ
وترجف الكفان خسراناً
لم يغنه أمسه الباغي . ولا غده
لما تفجر حقد الشعب بركاناً ..
ناداه .. يا أيها المغرور قد وجبت
إرادة الشعب .. فاخلع تاجك الآن
كفاك منا ضرعات وإذعاناً
وحسبنا منك تخريباً وطغياناً

* * *

فمن رآه وقد دفت سفينته
والشمس تطلي جدار الغرب أحزانا
رأى جنازة طاغوت تشيعه
لعنات أمته .. شيباً وشباناً
رأى وجوهاً ، وأعناقاً ، وأذرعةً
تكاد تطفر أحقاداً وأضغاناً
رأى شعوباً إذا ديست كرامتها
داست عروشاً ، وأرباباً ، وتيجاناً

١٩٥٢

عودة نبي

(كتبت في ذكرى الشابي)

حسبك من فنك هذا الخلود
يا أيها الشادي بسحر الوجود
بعثت شعباً من سجون البلى
وأمة ترسف تحت القيود
سكبت لحن الفجر في قلبها الصادي
فأرعشت دجاها المشيد ..

واغرو زقت بالشوق أعماقها
واخضوضرت أحلامها من جديد
واستيقظ الماضي البعيد المدى
وانتفضت حتى عظامُ الجدود
فاسمع برغم الموت أصواتها
مختلطات باللظى والحديد
وشق صدر القبر ..
واعقد لها من شعرك الخالد أسمى نشيد
فصرخة الإيمان أقوى من الموت
وأبقى من تراب اللحود ..
يا أيها الزاهل في حلمه ..
يجذب عينيه الفضاء البعيد
أقسمت ما ضاع هتافي سدى

لكنه هز ثراك المجيد ..
كأنني أسمع شبابة
حنينها الجارف يطوي الحدود
كأنني أبصر ذا غربة ..
يود من غربته أن يعود !

* * *

يا معجز الأرض بفن السماء
ومعجز الموت بسر الخلود ..
كم زحزحت كفاك من ضخرة
سدت على الفجر طريق الصعود
وكم مشت روحك في هوة
صباحها خلف الزوايا طريد
وكم حضنت الشوك ..

مستغرقاً في فكرة مملوءة بالورود
وعشت كالنبوذ ..
في أمة هدّت قواها مومياء الجمود
ومت .. لكن الذي لم يمت
هذا البناء الضخم .. هذا القصيد
شعر كأشواقك يغزو السماء امتداده
كالسنديان العتيد ..
شعر تمزقت عليه ..
كما تمزقت فوق السحاب الرعود
وانتبهت تونس مذعورة
مع انتفاضات الصباح الوليد
انتبهت تبحث عن نفسها .. عنه .
عن الشادي الحزين الشريد

واستيقظت أعماق افريقيا ..
تغسل بالنور خطايا الجدود ..
وانطلق المارد من سجنه
تسحق رجلاه بقايا السدود
وعدت يا شابي حرة ..
ثائرة ملء ضلوع العبيد
وعدت عزماء في وجوه الأسى
ويقظة ملء عيون الرقود
وعدت يا شابي في ناظر الأعمى
وفي قلب الأصم القعيد
عدت نبياً كالنبيين ..
لو تدرك معنك عقول الوجود !

١٩٥٣

قصة

(إلى روح صالح علي شرنوبي)

نم عميقاً .. فالموت حلم طويل
همجي الرؤى .. كحلم الحياة
والألى أنكروك يوماً .. سيأتونك يوماً
في خشعة والتفات ..
وسيحكي التاريخ للغد .. للأجيال
تلك المجهولة للمحات ..

قصة الشاعر العظيم .. العظيم الحلم واليقظة
العظيم الصفات ..

حين غنى لقومه خير ما غنته

شبابه من الصلوات ..

فتناسوه كافرين بما غنى

وما في يديه من أغنيات

مطبقين الأذان عن صرخات الروح ..

عن عبقرية الصرخات

محرقين البخور للنصب الجوفاء

ذات المشاعر الصدثات

فبكاهم ..

مكى العيون التي لا تبصر إلا مواطىء السادات

وبكى الأمة التي يستوي الموهوب فيها بالناظم
النحات

وبكى نفسه ..

فقد كان قلباً عاطفياً موزع الرحمت
ومضى عاري الربيع من الأوراق ..
حتى أوراقه اليبسات ..

نادباً كالخريف أزهاره البيضاء

أزهار عمره النضرات

ضائعاً كالضباب . غضبان كالبركان

غضبان كالثرى بالنبات

جائعاً كالظلام .. عريان كالنور

حزيناً كأوجه الشاكلات ..

شارباً خمرة الهجير .. ودمع الليل

ونار العواصف الجامحات ..
ثم لما أرخت يد القدر الفنان
ستار المأساة .. الملهاة ..
اصبحوا حافلين بالنعش
في حزن كبير .. بالجثة الملقاة
وأثوا ينثرون فوق صخور القبر
ورود العيون والمهجات
فظلام المنون كحل أجفانهم
بالنفاذ والانصات
وجلال المنون حرر ميزانهم
من عبودة الشهوات

* * *

أبدأ لم تمت ، فمثلك فوق الموت
فوق النسيان والذكريات
إنما الموت للزواحف فوق الأرض
لا للمحلقين البزاة
ولقد كنت في حياتك كالنسر
قوي الجناح والضربات
تقطع الكون في انتفاضة ذهن
وتجوب القرون في لمحات
وتهد الوجود هدأ وتبنيه
كما شئت شاعري السمات
كنت تستلهم الحياة أغانيك
فاقبلن نبضاً بالحياة
لا عظاماً محنطات

عليها رغم لون الطلاء ، لون الممات

* * *

أبدأ لم تمت فمثلك فوق الموت فوق النسيان
والذكريات

١٩٥٢

قطرة ضوء

يا جفني الساهد .. نم
قد رقدت حتى الظلم
حتى حقول الحنطة
المتشحات بالسقم
حتى مسارح الزيوت
العالقات في الخيم
حتى عيون الأفق

المنطفئات في سام
حتى مباخر الشذى
حتى مراوح النسم
حتى أراجيح الظلال
الراقصات بالقمم
لم يبق في الوجود
كائن سوانا لم ينم
نحن الذين نقطر الضوء
بأجفان الرمم ..
يا كم تكحلنا بلميل ..
وتدثرنا بهم !!
وكم مشينا فوق شوك اليأس
من نجم لنجم

وكم حرثنا حقلنا ..
بفأسنا الأعمى الأصم
وكم حصدناه .. حصدنا
ما زرعنا .. ثم لم !!
بلى .. جنيتنا ملء أيدينا
جراحات .. ودم !
كأنا لما زرعناه
بذرناه ألم ..

* * *

يا جفني الساهد نم
قد رقدت حتى الظلم

الى مومياء

كان ليل .. وكان صبح ..
وكانت قصة آدمية محتومة
قصة تعرفينها ..
فلقد مثلت أدوارها معي يا أثيره
ومضينا .. أنا .. وأنت
فقد تمت فصول الرواية المرسومة
ومضينا كل إلى حيث يبني من جديد

أيامه المهدومه ..
وكان لم تكن لنا ذكريات
حفرتها أقلامنا المخطومه
ونسينا .. أنا .. وأنت
نسينا كل شيء حتى حديث الخصومه
وهو أنا العنيف كم كان ضخما ..
والمواعيد .. والأمانى القديمه
والطريق الطويل .. والمنحنى الضيق
والسنديانة المهمومه ..
ونسينا الكوخ الذي تتبناه ..
الأكف المعشوشبات الكريهه
ذلك الكوخ كم لنا فيه من ذكرى
وكم من حكاية مردومه ..

كم مساء ما زال نشوان ..
ما زالت بقاياها حيث كنت مقيمه
لم تزل منه صرخة في عيون الهر
في أوجه الطيور الرحيمه ..
حينما كنت .. كنت حقل هشيم
ترتمي فوقه رياح عظيمه ..
حينما كنت يا شقية ..
تسقين هجيري ظلالك المحرومه
كنت تحيين في دمائي
وأفنى أنا في ساعديك .. في ديمومه
إن تكون نسيثني ..
ولقد تنسين حتى أنفاسك المحمومه
فالمسي جسمك الثمين .

فقد أدمته يوماً أظافري المنهومة
والمسي شعرك الثري ..
ف فوق الأذن والأذن خصلة معدومه
والمسي ثغرك المليء ..
فكم أفرغته .. كم أذبت فيه جحيمة
واسألي كل ذرة فيك ..
تصرخ : إنني كنت في يديه غنيمه !

* * *

غير إني لا زلت ظمآن ..
لا زالت بقلبي من اللظى جرثومه ..
لم أزل جائع الحياة إلى الصيف ..
إلى أمسياتك المرجومه ..
فتعالى يا لعنتي ..

قبلاً تجمد نيران كأسك المسمومه
قبلاً تذبلين .. تذبلك الأيدي ..
وأيدي المروضين رجيمه !
قبلاً تطرقين بابي .. باب الكوخ
مسحوقه الصباح .. حطيمه ..
وعلى وجهك الرخامي ..
ألقى معول الليل يأسه ووجومه
وبعينيك .. يا لآلام عينيك ..
حنين إلى الليالي اليتيمه ..
غير أنني لن أستجيب لهذا الصوت ..
صوت الأنوثة المهزومه ..
أبدآ .. لن أستجيب ..
وإن كانت ستبكيك في في ترنيمه

فليالي لا تزال كما تدرين ..
مخضرة الهوى .. مزحومه
وستمضين للطريق كما جئت ..
كما أقبلت خطاك .. أليمه ..
وستأتيك من بعيد .. مع الريح
تناهيد آثم وأثيمه ..
فتعالى يا رغبتى ..
قبلا يركم في دربك الزمان همومه
أقبلى .. قبلا تجفين .. تحترقين
تمسين مومياء قديمه !

نحو الصباح

حيران .. يقظان يا فؤادي
والناس هانون راقدون
الليل نحو الصباح جسر^ه
بني الدجى فوقه الحصونا
تعبره الكائنات وسنى
بيننا عبرناه ساهرينا ..
فامش معي ، امش يا ابن ذاتي

ولندع القوم حاملينا ..
لعلنا ندرك الأمانى
من قبل أن ندرك المنونا
لا تحسد الناعمين ..
واحسد بني العذاب المسهرينا
أولاء آباؤهم بنوهم
ونحن من يبتنى البنينا
ومن يرم مثلنا طموحا
هيهات أن يطبق الجفونا
والنوم للخاملين ..
لا للمكبلين .. المعذيين
لست ابن من أقطع الرعايا
ولا ابن من شيد السجونا

لكنني ابن العواصف ..
ابن السيول ، والنار أجمعينا
ابنك يا شعب ..
يا صباحا يستل أنفاسه دفينا

* * *

ماذا أرى يا ظلام ؟
ركبا تحت الدياجي محدينا
حافين ، عارين ، لاهثينا
باكين ، شاكين ، ضارعينا
وراءهم مارد رهيب
يزرع في الأنفس الشجونا
تقطر جنباه كبرياء
ويغتلي صدره جنونا ..

يدوس هذي العظام دوسا
كأنه طاحن طحيناً ..

فابك معي موكب الضحايا
يصعد الشجوة والأنينا
روايةٌ مثلت قديماً

مثلها خفرع ومينا
ولم يزل بعد ألف قرن
فرعون يستعبد القرونا
قد سارت الكائنات قدما
فما لنا نحن جامدون !!

* * *

ماذا أرى يا دموع !
قصرأ أرادته المجد أن يكونا

حيطانه تلك !

أم مرايا من فوق حيطانه جلينا ؟

كان جدرانه الزواهي

سقين بالشمس .. أو طلينا ..

يا جنة الخلد في مداه

وحوله تفتن العيونا

إنا عدمناك مشتهينا

كما اشتهيناك معدميننا

لا تعبقي بالنسيم ..

إنا من نتن الكوخ زاكمونا

لا ترقصي للربيع ..

إنا من ظلمة الكوخ قد عمينا

* * *

ماذا أرى يا حياة ؟

إني جننت من حيرتي جنونا

قبران !..

ذا شيد من رخام تخطف ألوانه العيونا

وذاك في صخرة نحيت^ه

أقسمت ما كاد أن يبيننا

هذا عليه الربيع ضاف

يرف ورداً وياسميننا

وذاك يمشي الخريف فيه

يبارك العوسج اللعينا

ويلاه يا عدل ..

يا سطوراً تنطق بالسخریات فينا

حتى أمام الفناء فرق ميزنا جوهراً وطيننا !

* * *

يا أمة تعبد التماثيل والطغاة المتوجين
أقسمت لا تحملين إلا منافقين أو كافرين
فامش معي .. امش يا رفيقي
مثلي مستغرقاً حزينا
فماسة الصبح قد أشعت
والقوم قد فتحوا الجفونا

١٩٤٩

الضعف

ما بيدي أن أرفعك ..
ولا بها أن أضعك
أنت أليم ..
وأنا أحمل آلامي معك
وجائع ..
ومهجتني جوَّعها من جوِّعك
وأنت عارٍ

وأنا .. ها أنذا عاري معك

يا شعبي التائه ..

ما أضيعني ، وأضيعك

ما أضيع الثدي الذي أرضعني ..

وأرضعك

يا ليتته جرعتني سمومه

وجرعك

فما احتقرت أدمعي

ولا احتضنت أدمعك

ولا انكفأت فوق قبر اليأس

أبكي مصرعك

* * *

أيتها الجميزة العجوز
من ذا زرعك
يا غرسة الخمول
لا بورك حقلٌ أطلعك
هيهات أن يكون مبدع النجوم مبدعك
أما سئمت تحت أقدام الدجى مضطجعك
فقمتم في نهر الطموح
تغسلين أذرعتك
كم جناح الريح بواديك
فهلّا اقتلعتك
وانتفض الفجر حوالياك
فهلّا صرعتك
ففكرة الحياة

أن تبدعني ، أو أبدعك
وفكرة الفناء

أن تصرعني أو أصرعك
يا ليتني عاصفة ، قاصفة
كي أسمعك

١٩٥٢

تحت الأمطار

« أيها السائق

رفقاً بالخيول المتعبه !

قف ..

فقد أدمى حديد السرج لحم الرقبه

قف ..

فإن الدرب في ناظرة الخيل اشتبه «

هكذا كان يغني الموت حول العربيه

وهي تهوي تحت أمطار الدجى مضطربه !

* * *

غير أن السائق الأسود ذا الوجه النحيل

جذب المعطف في يأس

على الوجه العليل ..

ورمى الدرب بما يشبه أنوار الأفول

ثم غنى سوطه الباكي

على ظهر الخيول ..

فتلوت ..

وتهاوت ..

ثم سارت في ذهول !

النهر الظالم

أريد أن أعشق .. أن ألمس الأعماق ..
أن ألمس أعماقي ..

أن أعبد الله كما لم أكن أعبد

في عمري الباقي

بي ظمأً .. بي ظمأً قاتل

فأين ينبوعك .. يا ساقى !

أكاد لا أبصر حيث ارتمت عيناى

إلا دم أشواقى ..
أطفئ بـإعصارك هذا اللظى الأسود
في قلبي .. وأحداق
أطفئه إني نهر ظامىءٌ للحب
في جنة عشاق ...!

* * *

إن هُزت الريشة في أنمل الرسام ..
في سكرة إبداعه ..
فالصورة الشوهاء ما ذنبها
ألم تكن غلطة إسراعه
وكيف تشقيني بما لم تكن لي طاقة
في رسم أوضاعه ..
سئمت جدبي في ربيع الورى ..

وظلمتي في نور أمتاعه ..

وثورتي في ظل أحلامه

وصرختي في صخر أسماعه

سئمت ضعفي ..

آه للبئر لو لم تطلع الشمس على قاعه !

وآه لي لو لم يعانق دمي كرمته ..

كرمة أحلامها ..

وآه لي لو لم يذوب في ..

هذا الجفاف الضخم .. في جامها

ولو تدثرت بموتي ، ولم تلفني خضرة أيامها !

ولم أباركها بصوفيتي ..

ولم تطهرني بآثامها ..

لسوف أحيأ في الورى نائرا

على معانيها .. وأحكامها

محتقراً كل نواميسها

حتى ألوهية أصنامها !..

* * *

قالوا : لك الفن .. ولم يجتمع في كائن قبلك مجدان

والفن أشواق ألوهية تولد .. في أعماق إنسان ..

والفن أقباس سماوية

والناس العوبة فنان

فخل للفنانين دنياهم ..

فإنها معرض ألوان ..

وامش بالأمك في عيدهم

فإنها آلام رحمان

واحمل بجنبيك جراحاتهم ..

وخلد القسوة في الفاني !

* * *

فقلت ، والرغبة في داخلي ..

عاصفة .. ماردة .. عاتيه ..

يا ليتني راع ، عتيق الرداء ..

ذو عصا ، مشقوقة ، باليه ..

شرابه من دمة الساقيه ..

وقوته من مهجة الداليه ..

يسوق للغابات أغنامه ..

وروحه .. كروحها صافيه

راع له صاحبة ترتجي عودته في الليلة الشاتيه ..

حتى إذا عاد إليها ارتمت في حضنه أدمعها الهانيه !

* * *

يا ليتني فراش نحل ..
جناحاه على هيكله شعلتان
يعيش في منعطفات الشذى
فوق حدود الوهم .. فوق الزمان
ورشفة ترويه .. أو رشفتان
وحسوة تغذوه .. أو حسوتان
حتى إذا عاد إلى عشه الشمعي في أودية السنديان
خفت له أنشاه فرحى ..
وفوق مقلتيها نبتت ضحكتان
يا ليت قلبي قلبه ويدي جناحه
وموطني اللامكان ..

* * *

يا خالق الإنسان من طينة

وخالق الفنان من طينة
عذبتني بالفن ..
عذبتني بهذه النار السماويه
لسوف ألقاك غداً صارخاً بكل ما فيَّ من اللوعة
لم تشقني دماستي في الورى
لم تشقني .. إلا حساسيتي
أدعوك لا تشق بها كائناً بعدي
فهذه النار من قسمتي ..
رضيت أن أفنى على وهجها ..
لكي يعيش الفن في مهبتي !

١٩٥٤

السفر

الباب .. والسور .. ولون الحائط السقيم
ودرجات السلم المتسخ القديم ..
وأوجه النوافذ الباهتة الرسوم ..
تطل منها أعين بادية الهموم ..

* * *

والساحة العجوز تستغرق في الشكاه
كأنما تنوء تحت ثقل الحياه ..

وعربات الخدم المطرقة الجباه ..
وصرخات الباعة المرهقة الشفاه

* * *

والناس كلما مضت مدخنة القطار
تصرخ في وجوههم بغربة الديار
تهدمت من فوقهم جوانب النهار
وزلقت أرجلهم على بساط نار

* * *

وجرت الأعين في الوجوه كالأكبر
وأثقلت كل يد حقيبة السفر ..
فكم فم على فم هنالك انتحر
ودمعة واقفة كأنها حجر .

* * *

وألف منديل صغير أبيض الحنين
يخفق في ألف يد مكتومة الأنين
مثل جناح طائر في رقصة المنون
مثل سراج أرمل تموت في سكون

* * *

وكانت الساعة في الجدار تنتظر
حين مضى بندولها يهتز في ضجر
كأنه صاعقة في ساعد القدر
كأنه يضرب في بناية البشر !

١٩٥٣

عندما يتكلم الشعب

بالأمس .. والليل، والصمت، والكرى في المدينه
رأيت شعباً كبيراً ، من الشعوب الطعينه
يدوس في كبرياء ، أصفاده وسجونه
والشمس تغسل بالنور ، دربه وجبينه

* * *

بالأمس .. والأمس ما زال في دمائي صдах
دقت نواقيس مصر .. دقت بقلب الحياه

تعلن باسم الضحايا ، باسم الجياع العراء
أن الإرادة للشعب ، لا للملوك الطغاة

* * *

بالأمس أبصرت ريحاً تطوف كل البحار
وقائداً ، وسفيناً تغوص نحو القرار
وراية تتدلى ، في ذلة وانكسار
كانت بأرضي يوماً ، راية الاستعمار

* * *

بالأمس سرت صفوفاً مشدودة في الحبال
ومت جوعان ، والفأس في يدي لا تزال
وباسم عرش الخديو العالي حفرت القنال
وباسم خائن مصر تدفق الاحتلال

* * *

بالأمس ثار عرابي باسمي في عابدين
وفي دجى كل منفى مشيت عالي الجبين
وكل ضربة سوط ، دوت بجني كل سجين
حملتها بين جنبي ، من يد الظالمين

* * *

بالأمس سالت دمائي على ثرى دنشواي
وكان زهران يمشي إلى الردى بخطاي
وحينا شنقوه ، تلقفته يداي
وحينا حملوه ، دفنته في دماي

* * *

بالأمس والسوط يعدو خلفي ، ويوهن صوتي
عانتقت أرضي ، وفارقتها بحزن وصمت
وعشت وجهاً ، غريباً ، مشرداً ، نصف ميت

حتى إذا مت ، قبلت تربها رغم موتي

* * *

بالأمس أثقلت روحي بياقة من ورود
وسرت بين قبوري ، مستغرقاً في شرود
ثم انحنيت ، وقبلت رأس كل شهيد
وكان قبر الخيانات مطرقاً من بعيد

* * *

بالأمس مرت بأرضي خمس وسبعون عاماً
مرت فصفت عليها الطغاة والأصناما
وصبت الدم ، والدمع ، في حلوق اليتامى
ولولت في دمائي تمرداً ، وانتقاما

* * *

بالأمس ناديت أَرْضِي ، فاستيقظت من كراها
استيقظت تحجب الشمس أوجها ، وجباها
استيقظت تنفض القيد صاغراً عن خطاها
وتسترد بطولاتها ، وتعلي علاها

اذكريني
يا أفريقيا

اذكرني

يا أفريقيًا

الإهداء

إلى شهداء ثورة ٢١ أكتوبر ..
الذين لم يموتوا أبداً .

اغنية حول الشمس

الخيـل تركـض ..
السحاب يركـض
الرياح فوق أمواج الغيوم مسرعه
الخيـل بانفعـالها ، بشوقها مقنعه
يرتطم الحافر بالحافر
تلتقي الرؤوس بالرؤوس
تحت سروج الخيل تولد النجوم والشموس

اللجم المذهبات

والعمائم البيضاء

والرايات

والطبول ، والبوقات

* * *

يا وطني

عباءة الناصر من ورائه

مظلة على الأفق

وسيفه المهند الصقيل

في لون الشفق

وجبهة الناصر ، صانع البطولات

تكاد لا ترى من العرق

وددت لو قبّلت تلك الجبهة السمراء

فهي سحابة ترش الأرض بالناء

وهي حمامة بيضاء

طارت ألف ميل

وهي هي العودة بعد وحشة الرحيل

وهي الوصية التي أوصى بها

جيل النبيين لهذا الجيل

* * *

يا وطني

ها هو ذا الناصر عاد

المجد والجلال في ركابه يسير

والفرح الكبير

والحب ، والضياء ، والزهور

يا أيها الشوار

يا أيها الأحرار
يا من وقفتُم وحدةً
في وجه الاستعمار
يا من تحدّيتُم قوى الظلام والدمار
يا من تعيشون جلال هذا العصر
عصرنا العظيم
يا من غسّلتُم عن جبين الشرق
عاره القديم
طوبى لكم
طوبى لكم فارسكم مغوار
أدار وجه الشمس فاستدار
وعلّق النجوم والأقمار
على طريق الليل والنهار

* * *

يا فرسي العرجاء
أسرعي الخطى
فالشمس في السماء
والركب يدوس الأرضه
يا فرسي العرجاء
أسرعي الخطى
ليتك ذات أجنحه

١٩٦٤

الناقور

نار ضحايا
تسيل في حنايانا
فلنتكىء حيناً على عظام موتانا
ولنصمت الآنا

- ٢ -

برج كنيسة قديمة ، وراهب قلق
وغيمة تحك فخذها ، وتعبر الأفق

ورجل بلا عنق
وامرأة على الرصيف تنزلق
وقطة في أسفل السلم تحتنق
وصوت ناقوس يدق
يرسم نصف دورة على الفضاء
ويدق !

- ٣ -

عجائز الطيور
والمومياءات شواهد القبور
تشد شعرها الرمادي على الجسور
وتحرق البخور
وتلعن الزمن
هذا زحام من ؟

تبعته ، سقطت ميتاً ، أدركني الوهن

لمن إذن ؟

يا عالم الخطاة والمهرجين

مشيت النار على الأرض

لمن

- ٤ -

يا للهوات

لا يزال الزيف سيد الألوان

والشعراء

الأنبياء

غرباء

يجردون الضحكا

من البكاء

وينسجون حلم العنقاء

بينما العروش والأوثان

تجرفها مكنسة الزمان

وقيصر القديم

صنم الأصنام

والسلطان

خادم الاسلام

أغلق باب قبره

ونام

١٩٦٥

البنفسجات الثلاث

لو فجأة تدفق الياقوت
يا أميرتي السوداء
لو تضرم السكوت
لو تعرجت حوائط البيوت
لو رأيت شاعراً يموت
جشته طريقه
وقلبه حمامة ذبيحه

ودمه على الثرى عباءة حمراء
تنقرها الغربان والسلاحف الحذباء
فما الذي كنت ستصنعين !
ما الذي كنت ستصنعين ؟
تنتزعين زينة العرس
وتلبسين زينة الحداد
وتندبين !

وربما بصقت نقمة على الجلاد
لأنه أسكت صوت شاعرك
أسكت صوت رجلك
وربما ستذكرين مقلتيه كيف كانتا
وتشبهين يا أميرتي
لكن إلى متى ؟

* * *

أول عشاقك ؟

جاء بعد ما ذهبت^ه

رأيته يمشي على قبري فابتسمت^ه

فغرت فاهي

يده تنام في يدك

ثم مضيتا تقهرقهران

وتركضان

يا إلهي

اتئدي

هذا رفات جسدي

يوجعني كل رفات جسدي

أزهرت البنفسجات السود في يدي

العقم والظلام والصقيع

فلتتمدد الجذوع
إن وراء هذه اللحود
مسافراً على قطار لن يعود
أواه .. يا أميرتي الحزينه
لضعفنا نحن رسوم الزينه
الأصص .. الزخارف ..
الساعة في واجهة المدينه
* * *

بداية الرواية الألم
خاتمة الرواية الألم
أكذوبة هي الرواية
أكذوبة هو الألم

قارع الطبول !

من ذلك الوادي الرماديُّ أنا
لو انحدرتِ في الصخور مرتين
وأرتطمت في الضباب مرتين
ثم درت دورتين
خلف ذاك المنحنى
فسوف تلمسين سقف أفقي
وتبصرين من بعيد زورقي

وبضع نخلات يحركن رؤوسهن
كان حلماً مفزعاً يمرُّ في خيالهن
كانَّها تنفضهنَّ

رؤية يبرقي

يعوم في بحيرة من عرقى !

* * *

عاريةٌ رُوحى ، وعار جسدى
كما ترين !

ساذج منبسط اليدين

لا أخجل أن أقول :

« يا زمنى حتى الأسى شهوه »

وقدماي تتلويان في الهوه

لا أرهب أن أقول :

« يا زمني تأكلت حوافر الخيول »
والحوت في النهر يعريُّ ظهره للشمس
والزراف يستريح في السهول
رائعٌ هذا الدجى الأخضر
رائعٌ صفاء الظلمة الجميل
رائعةٌ رائحة الضباب والشجر
رائحةُ الجبال والمطر
رائحةُ السماء والنجوم
رائحة الأرض إذا تنفست
وهي تعانق الغيوم
رائعة عيناك يا حبيبتي
أجنحة مخلقاتٌ أبدا
يبرق فيهن الشعاع والندا

قوافل مسافرات أبدا
يبعدن لا يتركن من ورائهن
إلا ظلالا وصدى
رائعةٌ هموم عينيكَ الصغيرتين
حين تسألان من يكون ؟
ذلك الشاعر .. من يكون !
ذلك المغني الهمجي
ذلك المهرج الحزين
ذلك الذي يصبغه الجلال والذهول
كلما انحنى على جراحه
وراح يقرع الطبول

* * *

ها أناذا أقول ،

« لو ركضت عارياً فهذا قدرى
ولو مشيت فوق جسر من خطاياي
فهذا قدرى

صوتي صوت زمينى
وجهي وجه قدرى
فلا عجب

ولدت فوق عتبات الصمت والغضب
أنا تمرّد التعب
أنا تجسد الدهول
ها أنا ذا أقول ...

١٩٦٥

.. ذوق السيف المكسور

لأن طائر الزمان دار حولها وجف
وصداً الأسى القديم التف
حول شجر الحناء
لأن فارساً من الزجاج والصدف
مرغّ ظله على الأشياء
وجرد العرش من الحرير والطلاء
لأن طاحونة ميت حزين الخلاء

تدور في الهواء
جلستُ تحت هذه الأعمدة السوداء
ممزق الراية والرداء

* * *

خلا الممر ..
غير فارسي أنا
تلطم وجهه الرياح ، وهو لا يعي
أقعى ، وأقعت أسي
كأنما أسمع أمواتاً يغنُّون معي
تشبهني وجوه موتاي النحاسيه
في عذابها
وهي على أبوابها
تغوص في اضطرابها

تشبهني قوائم العرش الذي احترق !
والسلم الذي تدلّس
في الدجى ، حنى غرق

* * *

لا .. لن أغادر الممر
طبول موتاي تدوي في دمائي
لا مفر
مخالب الشمس تشق جسد الغابه
والشجر العجوز بوابه
مفتوحة على النهر
وفارسي الذي كسا الضباب مقلتيه
ما زال في يديه
بقية السيف الإلهي الذي انكسر

١٩٦٥

البحار العجوز

الريح تنفخ القلاع ، والسفن
معلقة في البحار
والشمس ، والنجوم ، والأمطار
تثقب خيمة الزمن !

* * *

لو لفتت وجوها إلى الورا
السفن الكثر التي يحملها الهواء

لأبصرت فوق مرايا الأفق الزرقاء
بجّارها العجوز ، تحت راية الميناء
قبعة شوهاء

وقدم غائصة في الماء
ومقلة تبحث عن وطن
وضحكة باردة صفراء
كانها كفن !

* * *

زماننا ضاع . وضاعت البحار
وضاعت الأصداف في المحار
ولو كرهناه ، فهذا زمن الذين بعدنا
أتى كما أتوا على تراب مجدنا
وقد زرعناه جفاء ..

فليكن حصادنا جفا
لو أننا كُنَّا زرعناه صفاء ، لصفا
ويسعل العجوز سعلتين
ثم ينحني على غليونه الذي انطفأ
يحشوه سخطاً وأسىً وأسفا
ويرمق الميناء في انكسار :
— كانت قلاعنا تسابق التيار
ليلةً حرّ كُنَّا المجاذيف إلى ميناء
كانت رياح الشرق تلمص الغيوم
في الفضاء
كنا ندحرج المراسي الثقيلة الصماء
واضطرب النداء
يا أيها البحارة اهبطوا ..

كيف ظننتم ليلة كهذه تمضي سدى
موعدنا الفجر إذا السكاري استيقظوا غدا
وانكسرت على بلاط الصمت قهقهاتنا
وقفزت إلى الرؤوس قبّعاتنا
وجرّنا المعاطف الشتوية السوداء
وانزلقت ظلالنا فوق شوارع المساء
لم تغلقي مزلاج بابك القديم جيدا
إنا وجدناه مواربا
يمدّ كفه على استحياء .
كان كشحاذي القرى .
أيتها المدينة الحسناء
قد لا يروقنا هدوؤك الجميل ..
فاسمحي لنا

بليظة واحدة من الضوضاء
وأشعلي جميع حاناتك
لا لوم علينا أبداً
ألقت بنا الرائحة الوحشية الحمراء
والعرق الذي يسيل في اشتها
على الحوائط الملساء
كنت تخبئين كل هذه الروعة
عن عيوننا .. أين ؟
عليك لعنة السماء
يا فاكهة الشتاء

* * *

ويضحك العجوز من خلال دمعتين
وينفض الغليون نفضتين :

— وحين جعّد المساء وجهه ..
وصفّق النورس في حديقة النهار .
كنا نعلق المصاييح على نوافذ البحار
والأرض ما تزال في دوار
والذين قدموا من بعدنا
سيصبحون مثلنا
نحن الذين عبروا البحار
دونما متاع
حتى رسونا فجأة
على موانئ الضياع
آلهة البحار صارت جيّفا
وآ أسفا
وآ أسفا

وَيُبْحِرُونَ مِثْلَنَا
ثُمَّ يَعُودُونَ إِذَا مَا أَصْفَرَّتِ الْأَزْهَارُ
وَلَنْ يَطُولَ الْإِنْتَظَارُ
وَيُضْرَسُونَ كَلَمًا قِيلَ الْوَدَاعُ
وَيَعْرِفُونَ غَصَّةَ الشَّجَنِ
وَعَرَبَةَ الْوَطَنِ
وَنَظْرَةَ الْوَدَاعِ

* * *

مَا لَمْ يَغَيِّرُوا الزَّمْنَ
مَا لَمْ يَمْزِقُوا الْقَلَاعَ

١٩٦٤

عن الشعر والكلمات الميتة !

- ١ -

إن الكلمات الميتة ، كالأشجار الميتة

دون ظلال ..

تعبّرنا حين تُقال ..

الكلمات الميتة

كنباتات الشيطان الصخرية زلقه

تتسلقنا بيد الشفقة

بالضحكات المره ؟

بالحزن المر

بالإحساس العاري

من روح الشعر !

- ٢ -

عن موت الكلمة

قال الشاعر ، كيف تموت الكلمة ؟

جلد الأفعى الجبلية يلعقني ..

يتمسح بي ..

أحرقت بخوري للأفعى الجبلية

ما زالت تتمسح بي

إني والأفعى أوشك أن أنسى أني ..

أستغرق ليل نهار

ما شأني أن تسود النار
أن يسقط ظل فوق جدار
أو لسنا أحراراً ، فيما نختار
وأنا لا أنسى .. لا أقوى
قال الشاعر

والأفعى تحلم ثانية أن تلعقني
والدهليز الرطب يغني
يحشو نارجيلته ، ثم يظل يغني .
أنا فارسها ..
أنا سيدها الأول

أعطتني كل هدايا موسمها الأول .
ثم اخضرت أشجار الصيف
الفاكهة الخضراء ،

احمرّت بعد هبوط الصيف
لا بأس فقد قضينا بعض الوقت
ما جدوى أن نتسلق سور الصمت
أنا قد ثرثرت فعذرا ..
قال الشاعر ..
ألهتني تلك المرأة ..
أنستني .. فنسيت
كنا نتحدث عن كيف الكلمات تموت

- ٣ -

عينان على أرض الشارع
عينان تضيئان الشارع
عينان على قدمين

الرأس على أربع

المجد على قدمين

العار على أربع

قال الشاعر :

— كيف الكلمات تموت ..

وسار على أربع

زلقت في عينيه قدما طفل ضائع

لا تخجل يا عصري الرائع

فعلى أرض الشارع

أطفالك ..

ما زالت كف الطفل الضائع

تتمرغ في جسده

الأسمال الصفراء

تعرّت عن جسده
الطفل يحاول يخفي
عورته بيده !

الطفل يحاول أن يخفي عورة بلده
ذاك الطفل الرائع
يتلفت في خزي مهموم ..

يتعثّر ، ثم يقوم
قال الشاعر ، كيف الكلمات تموت
وتذكر في زهو فاجع
وجه الأنثى الأولى
وازدادت قامته طولا
وتناسى وجه الطفل الشحاذ المرسوم
في أسفلات الشارع

قلب الدنيا يتنفس من رثتي باريس
أحلى أشعاري

ما غنيت به باريس

« أوربا » تحملني في عينيها

أما باريس فتُرضعني من ثدييها

لا أكذبكم أني أهوى باريس

* * *

الشرطي النعسان يمت ذراعيه .

يتلصص خلف زجاج الحان

كلب الشرطي يحدّق

في لون الحيطان

وعلى باريس الخموره

ثلج ودخان

وأنا وفتاتي البوهيميه ..

ملتصقان ..

الفجر الأحمر يفرك عينيّه

وأنا عريان

أُتسكع كالصعلوك .

على قدمي باريس

لا أكذبكم ، قال الشاعر

في هذا الشرق ، الشاعر يصبح كالقديس

وتقولون الكلمات تموت

ماذا يبقى للناس إذن

لو ماتت كلمات الشعراء

« الشاعر زنجي من إفريقيا السوداء »

حيث موانئ الرياح والسحب
وحيث تهبط السماء عن كثر
وحيث يولد الجلال والغضب
وحيث يركض التعب
والحوت والزراف والذهب
حيث نوافذ الغيوم مشرعه
العرش كان مزرعه
والتاج والإكليل كان نصف قبّعه
بالية ، بادية الصدا ، مبقّعه
تخفي حريق الشمس الاستوائيه
عن وجنتي حسناء زنجيه
مليكة في الغاب منسيه

نخيلة كالقوس محنيه

تقول في مزارع الكاكو والقصب

كأنما تعاتب السحب الرمادية :

« ليس لأننا ارتضيناها

حين احتضناها

خلف ماقينا

لكن لأنه لما يزل فينا

يعيش في رجوع سواقينا

في دمننا ، وفي أيادينا

في رقصنا ، وفي أغانينا

الحزن ما سال به صوت مغنينا »

— بعض الكلمات

قديماً قال الشاعر

مثل سحائب صيف
بعض الكلمات
لصوص تحت الليل مبطنة الأقدام
فاحذر أن يجري في كلماتك
ماء الزيف
كي لا تمشي فيها الأقدام

١٩٦٤

رسالة الى الحفـر طوم

في الأرض حيران ضائع
دامٍ كثير المواجه
أرنو إليك .. وأعدو
كالطفل في كل شارع
وأرتمي فوق حزني
وفوق شوك المضاجع
وبيننا يا بلادي ..

ستارة من مدامع
وصورة يا بلادي ..
قد لوَّنتها المفاجع
وحائط يا بلادي ..
من فوهات المدافع

* * *

دمع وأفق ونار
والموت عريان جائع
والشعب أعزل ..
شعبي هذا الجريح المصارع
رأيته وهو صدر عارٍ
يسد الشوارع
يمشي .. وتمشي الضحايا

أمامه والطلائع
عمائم ووجوه
كانها الفجر ساطع
وأذرع كالضواري
كمئذبات الجوامع
تلتف حول المصانع
تمتد حول المزارع
تصون عزة شعب
طالت عليه الفجائع
بالأمس .. أمس وقلبي
بردان خلف الأضالع
رأيت شعبي يغني
للمشمس أحلى المقاطع

والشمس في غسق الليل

في رؤوس الأصابع

رأيتكم يا حبيبي

رغم الفيافي الشواسع

سمعتكم يا حبيبي

ولم أزل بعد سامع

* * *

قالوا انتفضت ..

ومزقت عنك سود البراقع

قالوا تفجرت أفقا

من السيوف القواطع

قالوا وطهرت نعليك

من جلود الضفادع

قالوا وما زلت تبني
العلا : وتبني الروائع .
قالوا .. وتوجتُ رأسي
زهواً بما أنت صانع
وقلت ما كان شعبي
للبطش يوماً براكع
ولم يكن مجد شعبي
لمشترا أو لبائع
فالشعب كالأفق
في صدره تنام الزوابع
والشعب كالنيل ..
في عمقه انفعال المنابع
راح الطغاة المساكين

وانتهوا في المخادع
والشعب ما زال يمشي
ويسترد المواقع

١٩٦٤/١٠/٢٤

استانلي فيل

في استانلي فيل دخان
والشمس على الحيطان
والسيف التاريخي ، وقبعة القرصان
ودم الإنسان
ما زال دم الإنسان
الزنجي العريان
في عروة أوربا المومس نيشان

في شعر بغاياها
عطر ودهان

* * *

يا استانلي فيل
سقط الإنجيل (١)
في أقدام الفاشيست
لصوص الغيل ..
سقطت رايات الجيل
ووقفت لهم في كل سبيل
تتلقين الطوفان
ولومومبا ما بين يديك قتيل
وتردّين أساطيل
وتهدين تماثيل

وتدوسين أباطيل

يا لؤلؤة « الكنگو » يا استانلي فيل

الظل ثقيل

الظل بطيء الخطوة ..

يستلقي تحت الجدران

الظل الأبيض ، والظل الأسود

ظل الخلدجان المرجانية والوديان

وحبال السفن المشدودات

إلى الشيطان

وجنازير النّخّاس

وكرباج السجّان

والجارية الحبشية ، والسلطان

وأباريق الخصيان

والغابة والصلبان

* * *

يا استانلي فيل

سأنزع عن كتفي السوط

وأمسح عن شفتي الدم

وسأحلم عبر زمان تشومبي .

عبر الجثة والمجرم

كمياه الكنفغو بين الشطين

سأحلم

وكصياد مفقوء العينين

سأحلم

مثل امرأة طعنت في الثديين

سأحلم

مثل المطاط غليظ الكفين

سأحلم

أن اسم مدينة لومومبا

يوماً قد كان

استانلي فيل

ثم اشتعل البستان

وتلاشى اسم القرصان

ومشى في أحجار المنجم

عرق الكنغو الغضبان

١٩٦٤

الغريب

من يا ترى تكون ؟
تسكب الدهشة في عيوني رؤيتك
تجذبني هيئتك المضطربة
عيونك الصغيرة المدبَّبة
قامتك الطويلة المكتئبة
حذاؤك القديم الباهت اللون .
خطاك المتعبه

وربطة العنق بلا اعتناء
كأنها سنبلة خضراء
تلتف حول الرقبة

* * *

من يا ترى تكون ؟
شمس الاستواء
أحرقت جبينك النبيل
ألقت فوق وجنتيك
لونها الجميل
نضارة الكاكو ، والزيتون ، والنخيل
أيها الغريب
ربما تعثرت على الصخور
ألف مرة حتى عييت

ربما مددتُ كفيك
لبئر عقلت أثداؤه ، فما سُقيت
ربما سقطت في عاصفة من الثلوج
ربما مضيت تسأل البحار
النازحات ، والقفار
عن منار

عن خليج
ربما لم تلق يوما مضجعك
يا رائع الغربية
لا .. لا تقل ما أضيعك
إنا شببهان .. فقف
قف لحظة
قلي معك

* * *

الناس يولدون أغراباً
و حين تلتقي الغربية بالغربية
في طريق
يولد طفل الحب والمعرفة
أجمل منه ، لم تشاهد قط عينان
لأن أطفال الحياة حين يولدون
يخضرون لحظة ..
وينضجون ، ثم يسقطون
في قبضة العاصفه
لكن طفل المعرفة
يخضر أشجاراً على طول الطريق

ثروة بورجوازية

- ١ -

الآلهة الغرقى في العطر

تقهقه في الردهات

الآلهة المتكبرة القسمات

الآلهة الأموات

تقلب أعينها الشهوانيه :

- مطر وضباب ثلجي

في الخارج ، والعربات
تتلوى في وحل الطرقات
من أين ترى ينسل البرد هنا ؟
فالقفزات حرير
والفرو يكاد يطير
والمانيكير ..

وتمط الدهشة أوجهن المصبوغة
ويسيل المانيكير
والرياح تولول جائعة في الخارج
عبر السور
ورخام الحيطان المنقوشة بالذهب
المضفور

كذست عكازة أعمى كان يسير

فتوقف حيناً ، ثم تخبط في الظلمات

- ٢ -

والنسوة تحت عناقيد الضوء النعسان

يغزلن حكاياهن

ويستنزفن التنهيدات :

- ما زالت كلبة « لولو »

ماضية في الصوم ؟

لم تبرح غرفتها المسكينه

طول اليوم

لم تعرف طعم النوم

يا لجال الأحزان ..

ويروح رماد السيجاره

يجري في طيات الفستان

وتعود الأنثى للثرثرة :
— ها قد سكرت تلك الجاره
تبدو في وقفته كالأفعى المنهزمه
كبقايا عاشقة هرمه
قالوا إن الطاهي قد غزر بابنتها
واللوم على ابنتها
فالطاهي لم يصنع شيئاً ..
سرق التفاحة من قلب البستان
.. وضحكن ..
ومرّت سيدة القصر العالي
فتبادلن الغمزات ..
ومددن أصابعهن إلى أحد الأركان
— يا سيدتي

لو تسعفني الكلمات
وأحني قامته ، وتكور كالشعبان
- الرقصة توشك أن تبدأ
- لم لا نتعانق ..

قد صدىء الماضي ، وغداً نصدأ

- ٣ -

وتقوست الأيدي
نبت الشجر القاني في أنهار الغابات
واعشوشبت الرغبات
وتمزقت الضحكات
فوق الضحكات
وكان الحزن الجاثم
فوق سماء العالم مات

يا ديدان التاريخ الأسود

يا قطط الملك المخلوع

ضموا أطراف معاطفكم

فالفصل صقيع

والرياح على الشرفات

الرياح على العتبات

نسجت بعض الأكفان

لتناوبة السلطان

وعيون المحظيات

الخطاة في المدينة

سوف يجيء يوم
دائماً سوف يجيء يوم
يُنْحَسِرُ الضوء عن اللعبة
وتشعر الصلاة بالغربة

* * *

المتفرجون والأبطال
الشعراء والملوك والأطفال

الفقراء حاملوا المصاحف
الصفراء والنعال
القسس الخرس
ذو اللحي المدلاة ..
ذو المسابح الطوال
الصبية المشردون ..
حارسو المدينة الكبرى من الزوال
كل الذين زلقت أقدامهم يوماً
على سلام الرغبة
كل الذين عبروا ابهاءها
الدافئة ، الرطبة
سيهبط الستار فوقهم ولن يعود
العنكبوت سيد الوجود

ليس غير العنكبوت والنسيج
حين يهبط الستار
وتخفت الأضواء والألوان والأريج
وينهض الشيء الذي لم نره ..
ولن نراه
يجيء لا ندرك من أين
تجيئنا خطاه
حيث يدوي صوته
في ردهة الزمان :
— يا هؤلاء انتهت اللعبة
وآن للصالة أن تشعر بالغربه

* * *

سوف يجيء يوم
دائماً سوف يجيء يوم
فلننتظر

لم يلتق العقرب بالعقرب
واللوحة الجوفاء في الجدار
والطائر المشدود في المشجب
يرتل الأشعار
لننتظر ..

نحن الذين لم تجيء أيامنا بعد
الدماء في جلودنا الدميمة
جلودنا تصبغها الجريمة
نحن الذين نرفع النيران للشمس
ونعدو في مسالك الهزيمة

الريح ذات الوهج الشاحب
ترتاح على سقوفنا القديمه
السادة القضاة واللاصوص
السادة العبيد والذئاب
يلغظون في الساحة :
- لو أعرف ماذا يلغظون -
يصعدون الدرج القديم
- لو أعرف ماذا يصنعون -
يقرعون الباب
يدخلون
- لا بأس .. ادخلوا
ادخلوا ..
واعجبا

رأيتكم أين ؟

متى رأيتكم ؟

نفس الرؤى المضحكة الكئيبة

الأوجه الممطوطة الجوفاء

النظرات الزئبق العجيبه

حينئذ بكيت ..

كنتم تلغظون ..

غنت البومة .. قلبت عيونها الغريبه

التفت الأفعى على الحرباء

قفَّ شعر الهرة السوداء

التقم التمساح ظهر الحوت

حينئذ قلت لكم ..

— لا تحرقوا التابوت

موتي هي الغابة
فاسكنوا بيوتكم
عالمنا بحاجة إلى السكون
لحظة من السكون

* * *

السادة القضاة واللاصوص
السادة العبيد والذئاب
في الساحة يلغطون
الناس ، والماشية العجفاء ، والوباء
الجامع الأبيض ، والكنيسة البيضاء
لا مكان بعد للحنان
لا مكان بعد للجلال

امتدَّت الحبال

هكذا إذن

مددتم الحبال بين الأرض والسماء

هكذا إذن

يحترق الزمن

يا أيها المسكين يا طفلي

يا أطفال ..

لست أستطيع

أن أرى رؤوسكم ترقص في الحبال

لست أستطيع

في فمي ، في قدمي

صوتي يضيع ..

ضاعت الحكمة في الضجة ..

ضاعت في القطيع

إتنا نضيع

إتنا نضيع

١٩٦٤

الهم والعجز !

«.. ثم اشتعلت ثورة ٢١ أكتوبر»

في الليل طائر غريب .. طائر حزين
ينفض ريشه الدميم في حديقتي
الليل في حديقتي
ملون العيون !

* * *

مدينتي أمس مساء

تحت سورك الرخامي اتّكات
كنت كئيباً موجعاً ، حين أتيت
وضعت كالني ، طيبتني بجاني
وسّدت قلبي حجراً ..
ثم اضطجعت
وكالذي يحلم ..
أبصرت على الأفق سنابك الخيول
تنحوض في وجهك يا مدينتي
في دمك النبيل
وكلما هممت يا مدينتي
أن تقفي
طوحك الهزال والنحول
حتى صجوت صارخاً :

وجهك يا مدينتي تحت سنابك الخيول
ثم عدوت باكياً من شارع لشارع
وكلما أبصرني الناس أهيم
في الشوارع
تكسر الزجاج في عيونهم
كانهم لا يبصرون
تساقط التراب من حلوقهم
كانهم لا ينطقون
الناس يا مدينتي كانهم منومون
الناس أصبحوا عجائباً
تضحك للمأساة ..

أصبحوا . كانهم لا يقدرُونَ !

* * *

ما أجمل المساء في عينيك يا مدينتي
منسكباً على حوائط البيوت
على كنائس النصارى الطيبين
على مآذن المساجد القديمة
على قبور الفقراء الفوضويين
على حقول القصب الكريمة
على الأزقة المعتمدة التي
يولد فيها الشعر والجمال والجريمة
ما أجمل المساء
غير أنه هذا المساء
كطائر حزين
ينفض ريشه الدميم في حديقتي

١٩٦٤ / ٩ / ٦

النافذة

الشمس في شرفتها واقفه
تفك شعرها الأنيق
تنفضه صفائراً على الطريق
ثم تغني ، وتدير ظهرها إلى الحريق
الشمس في غرفتها
والجوع في الخارج والضباب
يحدّقان كاللصوص من ثقوب الباب

ويمضغان شجر العذاب

* * *

ثم استدارت مرتين
الشمس في غرفتها استدارت مرتين
مالت بعنقها الجميل
الوثني المستطيل
والشعر الماسي في قمته قنديل
يميل حيثما تميل
عادة تنزلق القطيفة الحمراء
عن كتفين مثل هاتين الرخامتين
ينزلق الحرير خطوتين
ينزلق الحرير للركب
يشحب لونه من التعب

ويقتشر الصمت والصخب
وتنبت الأعشاب في السحب

* * *

ثم تطلعت إلى المرآه
لست وحدك التي تحديقن الآن
يا شمس في المرآه
فالضباب والجوع يحدقان
يا شمس في المرآه
تبتسمان في انبهار وعجب
إلى عناقيد البنفسج الذي انسكب
فزوّق المرآة بالألوان
ثم انعكسا
وصار قبة مشعة

وصار ليلاً مشمسا

* * *

يا شمسها

يا سيدي الجسد

يا كلني الحسد

لا تغلق النافذة انتظر

إني على نافذة الرصيف أنتظر

أسيل أحزاناً ولا أحد

أرنو .. وأرتعد

قلبي يرتعد

والليل يرتعد

والنور يرتعد

والطائران الجائعان
يخلقان فوق وجهي ، وينقّران
نافذة الأبد

١٩٦٤

دون كيشوت الثاني

دون كيشوت الثاني

صدئت عيناك ..

وغطّيت أعشاب الأرض السوداء خطاك

فلتدفن رأسك في الطين

يا دون كيشوت المسكين

* * *

الحلبة فارغة العينين

بلا كفّين

بلا جمهور يزرع ملء جوانبها الضوضاء
وتجبيء تجرجر سيفك في خيلاء
تتلاعب بالسيف الخشيء وبالحر به
لا تخجل من هذا الصمت الضافي فوق الحلبة
» سيفي مثلي ظمآن
وحصاني أيُّ حصان
وأنا الموت الأحمر
أنا جلاد الفرسان

* * *

يا دون كيشوت زمانك
إنك تضحكنا ..
تبيكيننا ..

يا دون كيشوت الثاني إنك لعبه ..
إنك لعبه !

* * *

وثن ذهبي كان
سقطت عنه الألوان
فتعري ، والإنسان
ماذا يبقى منه ..
لو مات بداخله الإنسان !

رسالة الى جميلة

لن تسمع الجدران يا جميلة
فالسجن مثل جبهة السجن
من حجر صخر ، ومن صوان
وما الذي تصنع راحتان
نحيلتان : مستطيلتان
لامرأة صغيرة .. نحيله

* * *

السجن لا يسمع يا جميله
إلا انقضاض المعاول
إلا دوي الزلازل
إلا انفجار الزلازل
السجن سكران ، قاتل
وأنت لا فأس ، ولا معول
لا خنجر ماض ، ولا منجل
أنت هنا حمامة تحجل
في قدميها السلاسل

* * *

الساعة الآن تدق الغداه
تدق باب الليلة التاليه
الساعة الواحدة .. الثانيه

ثلاث دقات بقلب الحياه
ثلاث خطوات تشد الظلال
وراءها في ظلمة السجن
أي حياة داخل السجن
هل سألت عيناك هذا السؤال
وأنت بين السوط والقيد
فابتلتنا بأدمع الحقد
أم يا ترى لمحت بين الجبال
طلائع الشوار حول الجبال
وهي تسد الأفق بالأيدي
فاهتز في قلبك حب جميل
مشى حزيناً فوق هذي الرمال
حب فتى جزائري نبيل

ما زال حيًّا في صفوف النضال
لعله الآن ساهِر

يرقب تور الجزائر

لعله الساعة يا جميله

يصغي لتنهيدتك الطويله

حين تدق الأذرع الثقيله

ثلاث دقات فجائيه

وزحف باب ثقیل

أشبه بالرعد

أشبه بالطوفان يا جميله

والليلة .. الليلة صحو جميل

يلوح عن بُعد

من كوة السجن الضبابيه

لا بُد أن الصحو هذا الجميل
يلف حتى حائط السجن
لا بد أنه يلف الحقول
وشجر الزيتون ملء السهول
وسعف النخل الطويل .. الطويل
وورق التفاح والورد
لا بد أنه يضيء السيل
لثورة تزحف عن بعد

* * *

ما أجمل الحياة يا جميله
لولا جنون الطغاه
وقهقهات السجون
لأن ظالماً يحب الحياه

ويكره الآخرين
لأن سيداً يحب العبيد
ويكره الثائرين
لأن سجانك يا جميله
أيتها النار الجزائريه
كل جنود الإمبراطوريه

* * *

لا تطرقي رأسك يا جميله
لا تخفضي جبهتك النبيله
خوف جنود الامبراطوريه
قفي بوجه العذاب
شامخةً بالعذاب
لا تدعي نقيمتهم تقتلك

لا تدعي رحمتهم تغسلك

إنك قبر الإمبراطوريه

إنك تسقين بالأمك

أشعة الشمس الجزائريه

إنك تمشين بأقدامك

فوق جلال الامبراطوريه

فوق عروش قتله

ما زال في أعينهم جوع الملوك

ما زال في دمائهم صراخ القتله

ما زال فيهم رعدة القراصنه

تمتد مليون سنه

ما زال صوت تجار الرقيق

ما زال صوت المقصله

يبعث فيهم الحنين والوله

* * *

أأضرب الأمثال يا جميله

أأملأ العروق بالثارات

أأملأ الوجوه بالوجوم !

أأملأ السماء بالغيوم

إذن هبيني ساعة من حياه

حياة روح داخل السجن

حياتك الساعة يا جميله

في ليل زترانتك الطويله

حين تدور ساعة الحزن

ثلاث دورات فجائيه

و حين لا ينفذ للأذن

إلا خطى الجند الحديديه
وهي تجوب ساحة السجن
في رعدة شبه جنونيه
إذن .. هبيني قوة الوجود
قوة إنسانية البشر
قوة ألف تائر في القيود
يفجرون طاقة القدر
قوة شعبك العظيم
غضبان فرحان تائر
قوة روحك المشع كالنجوم
فوق سماء الجزائر

مقتل السلطان تاج الدين

[بطل شعبي قاد فضال قبائل المساليت
المشهورة في غرب السودان ، ضد القوات
الفرنسية الغازية .. وسقط شهيداً في معركة
النصر عام ١٩١٠] .

- ١ -

فوق الأفق الغربي سحاب أحمر لم يطر
والشمس هناك مسجونه
تتنزى شوقاً منذ سنين

والريح تدور كطاحونه
حول خيامك يا تاج الدين

* * *

يا فارس

سرج جوادك ليس يلامس ظهر الأرض
وحسامك مثل البيرق يخترق الظلمات

يا فارس

مثل الصقر إذا ما انتقض

بيدتك عالي الشرفات

نارك لا تخبو .. لا تسود

وجارك موفور العرض

يا فارس ..

حتى مات !

« كان السلطان يقود طلائعنا

نحو الكفار

وكان هنالك بحر الدين

وأشار إلينا تاج الدين

وأطل بعينه كالحالم ..

في قلب السهل الممتد

ثم تنهد :

« الحرب الملعونه

« يا ويل الحرب الملعونه

« أكلت حتى الشوك المسود»

لم تُبق جداراً لم ينهد»

« ومضى السلطان يقول لنا

ولبحر الدين :

— هذا زمن الشدة يا إخواني

هذا زمن الأحزان

سيموت كثير منا

وستشهد هذي الوديان

حزناً لم تشهد من قبل ولا من بعد

* * *

وارتاح بكلتا كفيه فوق الحربه

ورنا في استغراق

نحو وجوه الفرسان

كان الجو ثقيلاً ، مستقوفاً بالرهبه

وبحار من عرق تجري فوق الأذقان

وسيوفهم المسلوله تأكلها الرغبه

والخيل سنا بكها تتوقد كالنيران
ومضى السلطان يقول لنا
ولبحر الدين :

— هذا زمن الشدة يا إخواني
فسيوف الفرسان المقبوضة بالأيدي
تغدو حطباً ما لم تقبضها بالإيمان
والسيف القاطع في كف الفارس
كالفارس يحلم بلقاء الفرسان

* * *

وترجل تاج الدين
جبلٌ يترجل مزهواً من فوق جبلٍ
وترجل بحر الدين
وحواليه عشرة آلاف رجل

سجدوا فوق رمال « دروتي » لله معه
وأطلت كل عيون الطير المندفعه
في هجرتها من أقصى الغرب لتاج الدين
فعلى أفق الوادي الغائم
تمتد رؤوس وعمائم
وبيارق يشبهن حمائم
... ثم ارتجفت أفواج الطير
وراء السحب المرتفعه

- ٣ -

- يا تاج الدين
الأعداء أمامك .. فارجع
لهب .. وقذائف حمر ..
وخوذات تلمع

والحربة مهما طالت

لن تهزم مدفع

لن تهزمهم يا تاج الدين

بسلاح كزمانك مسكين

وكعاصفة سوداء تلفت تاج الدين

في سخط الجبارين تلفت تاج الدين

وأطل على وجه القائل

كانت شفتاه رعوداً وزلازل

كانت كلمات السلطان

سلاسل

— يا ويلك لو لم تك ضيفي يا عبدالله

ما أقبح ما حركت به شفتيك

ما أبشع ما منيت به عينيك

عار ما قلت ..

وعار أن نستمع إليك

فائن زمام جوادك

وخذ الدرب الآخر

يا بحر الدين أعدده للدرب الآخر

- ٤ -

وتدفقت الرايات

وغطى الأفق صهيل الخيل

و « دروتي » العطشى ما زالت

تحلم بمجيء السيل

وتحدر من خلف الوديان المحجوبه

علم قان .. ومدافع سبع منصوبه

وحرائق وضجيج شياطين

ها هم قدموا يا تاج الدين
فانشروا دقات طبولك ملء الغاب
حاربهم بالظفر ، وبالنااب
طوبى للفارس
إن الحرب اليوم شرف
طوبى للفارس
إن الموت اليوم شرف
داسوا عزة أرضك
هتكوا حرمة عرضك
عاثوا ملء بلادك غازين
غرباء الأوجه سفاكين
فاضرب .. اضرب .. يا تاج الدين
اضرب .. اضرب .. اضرب ..

— يا مولاي السلطان
سلام الله عليك
قتلى أعدائك مطروحون
لدى قدميك
أسرى مغلولون وُخِذَّام بين يديك
أكلت نيران مدافعهم نيرانك أنت
بالسيف وبالحرية
وبإيمانك قاتلت
يا فارس تسحق أعداءك
أني أقبلت
حين استبقوا نخوك
باسم بلادك ناديت

« لن يحجبني عن حبك شيء »

« إنك ملء دماي وعيني »

« يا دار مساليت أنا حي »

- ٦ -

وهجمت فأجفل قائدهم

وانشق ستار

كان ستار رصاص

كان ستاراً من نار

نصبوه في وجهك صفين

كي لا ترى قائدهم بالعين

لكنك يا فارس أقدمت

فوق المدفع بالسيف مشيت

ولحقت بقائدهم فانهار

القائد ذو الجبروت انهار
ذو المركبة النارية والخذات انهار
أحنى رأساً ماتت في عيذه الرغبات
مدَّ يديه يبكي في حشجة الأموات
عرى صدرأ دمويأ أعشب فيه العار
هذا الصدر العاري المنهار
من قبل لقائك زانته نياشين الأكبار
لكنك يا فارس آليت
أن لا تهب الكافر صفحك
أن تسقي من دمه رمحك
أن تصلبهم عبر الفلوات
أن تجعل موتاهم مثلاً
لزمان عبر زمانك آت

- ٧ -

تحت الراية غرقت رأس القائد في الدم
أرخی عینیه فی رعب ..

ثم استسلم

سلمت كفك يا تاج الدين
فاقض على أحلام الباقين

صاروا بعد القائد

قطعان غنم

طاردهم بجنودك

عبر الفلوات

عبر " دروتي " عبر الأيكات

قتلاك من الأعداء مئات

والأسرى قد ملأوا الساحات

والقائد ملقى في الطرقات

سلمت كفك يا تاج الدين

- ٨ -

لكن الشمس المسجونه

والرياح الحبلى الملعونه

ما زالت مثل الطاحونه

تجري .. تجري حول خيامك

تجري من خلفك وأمامك ^{خامك}

- يا تاج الدين

- يا تاج الدين

ما زال عداتك مختبئين

أيديهم راعشة .. ورصاص بنادقهم

يتزاحم في بطء نحو جبينك

يا فارس خذ حذرک
من طعنات طعينک
يا فارس خذ حذرک
يا فارس خذ حذرک
ليتك لا تتحرك
فبنادقهم لا زالت راکضة إثرک
أترى تثقب رأسک
أترى تثقب صدرک
يا فارس خذ حذرک
ليتك لا تتحرك
.. وتحرك تاج الدين
كانت عيناه حينئذ
تقفان على جرحاه

والراية في عينيه
قد لطخها الدم
وأنت ريح خريف
تتراكض خلف خطاه
وتجهم وجه « دروتي » بالسحب وأظلم
وأنت بضع رصاصات
خجلات مضطربات
أقبلن من الظلمات
فرأينا تاج الدين
يبدو وكان قد مات
يا تاج الدين سلمت
مزق أستار الصمت
عد من وديان الموت

أو تذهب حتى أنت
وتساقط تاج الدين
لم يقو الفارس أن يرجع
لبكاء الشعب عليه
فرصاصات خمس صدئات
تسكن في عينيه
لكن أحداً لم ير رأيته
تسقط من كفيه

مارس ١٩٦٤

الى بورك رافيلسون المغمي

كانوا يُخفون خناجرهم في أوجهم حين تغني
وتشيب سوالفهم حقدا
وتشيخ نيويورك مهينه
فغناؤك يجلدها
يستعبدها
وُجُرِّدها
من زينتها ، فتلوح بلا زينه

جثث الأحياء ، وأقبية الأموات
ورؤوس المهزومين الغضبي المحزون
تتدحرج في الطرقات
تتسلق أشجار الغابات
تسترجع حلم الأرض المطعون
أرض المأساة
ويخلق فوق الليل الثلجي الممتد
ليل نيويورك .. غناؤك
يا شاهد فجر الشعب الأسود
يا أروع من غنى للعالم ، أحزان العالم
يا شاعر أمريكا الفقراء
ومغنيها
الزنجي الضائع منا ، تحت تراب مبانيتها

بحار السفن الغرقى ، حول موانئها
« بلياتشو » المقهى ذو الوجه المدهون
اللون القاتم ، في لوحات الرسامين
أحجار مناجمها
ودخان مواسمها
لحم الإنسان الساخن .. والسكين

* * *

— ماذا تعني بالنسبة لي^(١)
— أنا أعرف ماذا تعني أمريكا بالنسبة لك
الخنجر في قلبك
في روحك .. في الداخل

(١) مطلع أغنية شهيرة لبول روبسون .

وَتَغْنِي لِلْقَاتِلِ
تَسْتَغْفِرُ مِنْ قَتْلِكَ
مَاذَا تَعْنِي بِالنَّسْبَةِ لَكَ
أَنْ تَرْفَعَ كَأْسَ سَقُوطِكَ مَزْهُوًّا
فِي صَحَّةِ جِلَادِيكَ
أَنْ تَبْتَرِ ثَدْيِي أَمْكُ ..
أَنْ تَلْهُو بِعِظَامِ أَبِيكَ
أَنْ تَحْيَا فِي مَاضِيكَ

* * *

يَا بُولُ رُوبِسُونُ
مَاتَ الطِّفْلُ الزَّنْجِيُّ ..
وَمَاتَتِ جَدَّتُهُ الْعَمِيَاءُ
إِلَّا كَلِمَاتُ ..

قالتها في أذنيه ذات مساء

يا أبنائي غنوا للشده

غنوا للشده

لا يخلع إنسان منكم جلده

١٩٦٤ / ١٢ / ٤

عاشق من افريقيا

عاشق من افريقيا

صنعتي الكلام
سيفي قلبي
وكل ثروتي شعور ونغم
ولست واحداً من أنبياء العصر
لست من فرسانه الذين يحملون رايات النضال
أو يخطّون مصائر الأمم
لكن لي هوى يكبر كلما أكبر

لم أمنحه مرة لملك متوج
ولم أمرغ وجنتيه فوق أعتاب صنم
صناعتي الكلام

قد أجيد تارة .. وقد أخطيء تارة
لكنني منذ مشيت عواصف الحنين في دمي
ومنذ أزهرت براعم الكلام في فمي
ومنذ ما انطلقت ضائعاً مشرداً
أطوي ليالي غربتي ..

وأمتطي خيول سامي
كنت عذابي .. أنت يا أفريقيا
وكنت غربتي التي أعيشها
وشئت أن أعيشها

* * *

وَحِينَا غَنَّيْتُ .. غَنَّيْتُ لَعَيْنِكَ
وَمَسَّتْ شَفْتِي فِي وَلَه رَمُوشِهَا
حِينَئِذٍ رَأَيْتُ فِيهِمَا تَوْهُجُ الْأَلَمِ
رَأَيْتُ فِيهِمَا الْعَذَابَ وَالشَّمُوخَ وَالشَّمَمُ
صَنَاعَتِي الْكَلَامُ
رَبَّمَا أَثْقَلَ صَوْتِي الضَّعْفُ وَالرَّهْبَةُ أَحْيَانَا
فَعَادَ لِي صَدَاهُ . بَاكِئًا حَزِينًا الْمُقْلَتَيْنِ
حَتَّى لِيَبْكِيَنِي صَدَى صَوْتِي ...
فَأَنَحْنِي أَمْسَحَ فَوْقَ شَعْرِهِ .. وَأَضْغَطَ الْيَدَيْنِ
وَأَشْرَبَ الدَّمُوعَ مِنْ عَيْنَيْهِ الطِّفْلَتَيْنِ
وَيَثْقُلُ الْكَلَامُ فِي فَمِي
أَحْسُ أَحْيَانًا كَأَنَّمَا كَلَامِي فِي فَمِي
مِثْلَ جَذْوَعِ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ

* * *

ضاربات تحت أطباق الثرى

مثل معادن البحار الغائصات أبداً

مثل كنوز الأرض

ربما نبصرها بالفكر ..

قبلاً نلمسها باليد

أو نحسها بالعين ..

صنعتي الكلام

لا وسام .. لا وشاح .. لا ذهب

لا راية تظلني .. ولا لقب

فلتغفري لي أنني أجيء في نهار عيدك الكبير

أجيء والشمس على صدرك ماسة زرقاء تأتلق

صدرك يا رائحة الجراح قبّة الأفق

وعرشك الرياح ، والجبال ، والسحب

أجىءُ لاهتَ الأنفاس ، مصلوبَ العنق
روحي سحابة ، وجسدي شفق

* * *

لا شيء في يدي
لا شيء في فمي
إلا بقايا مقطعٍ قصيرٍ
أعزفه في خجلٍ على الورق ..

صوت افريقيا

صوتك هذا ؟
إنني أكاد أن ألمسهُ
أكاد أن أنشقَ في عُصونهِ
رائحة الأرض ، وعرقَ الجبال
أكاد أن أسمع في خفوقه
تدفق « الكنغو » العظيم بالمياه
صوتك يا افريقيا ..

هذا الذي يهزني هزّ الأعاصير صده

أحبه .. وهو انفعال ..

ودم يغلي .. وثورة مطبقة الشفاه

أحبه .. وهو بريق أعين

تشنجت فيها إرادة الحياة

أحبه .. وهو خطى عارية

تحفر في الأرض مقابر الغزاه

أحبه لأنه صوتي أنا ..

صوتك يا افريقيا ..

صوت الإله

ما زلت اغني

لم تمت في أغاني ، فما زلت أغني
لك يا أرض انفعالاتي ، وحزني
للملايين التي تنقش في الصخر ، وتبني
والتي ما فتئت تبداع فني
والتي تعرف أني ..
أنا منها .. وهي مني ..
لم تمت في أغاني

وفي صدركِ كلمه°
لم تقلها شفتاي
وعلى وجهك غيمه°
لم تمزّقها يداي
أنت يا من تهبين الشمسَ
في كل صباح وعشيه°
من دماي
لتنيري خطوات البشريه
بخطاي°

* * *

أنا في حبّك مليون ضحيّه
تتهاوى تحت أقدام جلالك
فاجعليني ، في نضالك

لَا كُنْ قَطْرَةً دَمٌ
شَهَقَةً فَمٌ

بِسْمَةِ مَجْلُودٍ هُنَالِكَ

حَيْثُ تَمْشِي مَهْيَبَةٌ

فِي جِرَاحِكَ

فِي كِفَاحِكَ

أَنْتِ يَا رَافِعَةَ النَّارِ إِلَى أَعْلَى الْقَمَمِ

عصر الميلاد

وتطلّعتُ إلى عينيك ، والشعرُ سلاحي
عاريّ الجبهة ، كالفجر مغطى بجراحي
أتلقّى عنكِ أعداءك ، أعداء كفاحي
الذين اغتصبوا عرضك مرّة
حملوا عاركِ زهره
عبثتُ أقدامهم في حرّماتك
رقصوا فوق رفاتك

شوهوا تاريخك العالي ، المهيبَ الكبرياء
أغرقوه بالدماء ..

سرقوا أثمنَ ما يحمله صدرُك يا أم بلادي
سرقوا تاجكِ ، ثم اضطهدوكِ
سرقوا سيفك ، ثم اغتصبوكِ
سرقوا مجدك ، ثم احتقروكِ
إنما لم يقتلوكِ

* * *

فلقد كنت الملايين التي ليست تموت
الملايين التي يولد في أحشائها
اليوم .. وغد ..
والتي قوتها ليست تُحد
والتي تولد في كل صباح ، من جديد
في ملايين المهدود

لومومبا والشمس والقتلة

في قلبي سيف يقطر بالدم
يتصبَّبُ حقدًا وضغينه
يرجفُ غضبًا يا لومومبا
يا سيفَ بلادي الذهبي المدفون
المصلى فوق رقاب الجلادين
لن أنتزعك من أعماقي
ابقَ مكانك

ابقَ مكانك

لن تصدأ في تربة روعي
فتوهج في نار جروحي
أصبغُ أعلامَ الثورة ، يا سيف بلادي
أنشر أعلامَ الحرية ، فوق بلادي
كن شمساً ، فلقد ماتت هاتيك الشمس
ما عادت تسطع ملءَ عيونِ المضطهدين

إنّا أشعلناها يوماً بآقينا
ورفعناها فوق التاريخ بأيدينا
وغسلنا جبهتها بدماءِ مآسينا
ثم انطفأتُ يا لومومبا
لما أضحت شمساً أخرى

تُحرق أيدي المضطهدين
يا لومومبا ..
في قلبي أنت
البطلُ الأسود ذو القدمين العاريتين
الراكضتين على نهر الكونغو
كانت تركض خلفهما أشجارُ الغابات
كانت تتهدج لهما أنفاسُ الظلمات
كانت أمواج الكونغو ...
توغل في الركض

كان الفارسُ ذو الرهبة
ذو الصوت الفضّي
عيناه عالقتانِ على نجمه

شفتاه مطبقتان على كلمه
كانت أصوات المضطهدين
تجلجلُ في روح الأرض
يا لومومبا ...

ان الخونة لا ينتصرون
لا يصبح بطلاً من خان قضية شعبه
من أسقط رايته يوم نضاله
من سدّ عليه طريق الحرية
من قبل أقدام القتل
أبدأ ... أبدأ يا لومومبا

لن يصبح « موبوتو » بطلا
حتى لو وضع الأغلال بكفيك
حتى لو صلب الثورة في شفتيك

حتى لو أصبحت سجينه
حتى لو أصبحت طعينه
فستبقى الأحقاد دفينه
تتطلعُ في عينيُ شعبك ...
في عينيك ...
في سخر لعيون القتلهِ

اغنية الى السودان

منذ زمان بعيد كانت طبول بعيده ...
مشدودة ، فوق أيد قوية مشدوده
تؤرق الوحش في الغاب
والطيور الشريده ...
وكل ما تلد الأرض من حياة جديده
كانت تبث أساها
وترتمي مكدوده

في ظلمة القارة البكر

القارة المسدوده

أرض الكهانات

أرض الحقائق المفقوده

أرض الجنائز ، والشمس ، والليالي المشيده

ومرّ يوم ذليل ، مكفّن بالعبوده

تساقطت فيه أرضي ...

مغلولة ، مجلوده ...

تحت سياط الغزاة ، المعقوده ، المفروده

واحتقن الدم في روحها ...

وصبّ جموده

واعتنق النعش واللحد

في خطاها الوثئده
لولا بقية ذكرى قديمة محشوده
عن سيّد ، وجوار ، واذرع ممدوده
وعن ضحايا عرايا
خلف الحدود البعيده
وعن بلاد تضمّ الطغاة ، وهي سعيده
وعن شعوب كسالى ...
وعن شعوب بليده
تعيش في كل يوم ...
في أرضها مطروده

ومثلما يسحق المارد السجين قيوده ..
ومثلما تنفض أغلالها الرياح الشديده

تحرّكت ذات يوم

افريقيا الموعوده

وقام في قلبها السودان يعلن عيده

باسم جميع الشعوب

المسجونة المصفوده .

نكر و ما

كلماتي أشواقُ سجينٍ عاشَ
و ثارُ سجينٍ ماتَ
كلماتي أجسادُ ضحايا
مصلوبين على الطرقات
كلماتي أحشاء حبلَى
تتلوَّى تحت الطعنات
كلماتي أصواتُ حياةٍ

لا تعرف موتَ الكلمات

فيها من ثورة افريقيا

شعب زنجي القسمات

نفض الظلمة عن عينيه

وتوهج ملء الظلمات

فاذا الشمسُ تدور ...

وتلدُ الشمسَ ...

وتلدُ الحرياتُ

وإذا وجهُك يا نكروما

يشرق في نور الثورات

نكروما ، يا صورة غانا

والكنغوا الحر الموجات

وجهك يوقظ في الماضي ...
يوقظ في الاحساسات

* * *

يحمل لي رائحةً بلادي
عبر ملايين الغابات
فأراها من خلف دموعي
وأنا مشبوبُ الصبوات

أرضاً ، وجبالاً ، وسحاباً
وينابيع ، وشلالات
وجبهاً يتحدّر منها
عرق فضيّ القطرات
وعرايا في كل طريق

يمشون عرايا النظرات

نكروما ...

وأراك فأصغي لصدى ماضٍ ...

وصدى آتٍ

يلتقيان على ساحات

ويرفان على ساحاتٍ

أتراها إفريقية الكبرى

تتهادى تحت الرايات ...

الى بن ييللا ورفاقه

سبع سنين ، وأياديكم تطرق باب التاريخ
تبني هرماً للحريه
تبنيه بعظام الشهداء
بارادة مليون ضحيه
تنقش في الصخر حكاية جيل من أمجاد
جيل يصحو ، وصباح البعث على ميعاد
جيل يحمل في جنبه عبق الأجداد

جيل لم يرهبه عَصْرُ التقتيل والاستشهاد
عصر النعمة ... عصر الثورات
عصر الأحزان الغريبه

سبع سنين ، وبلاد جميلة رافعة الرايات
سبع سنين ، والنار تضيء خطى الأحرار
وتمزق ليل البشريه
إني أحني رأسي كبراً
إني أخفضه في إكبار
فأنا افريقي
وجزائر بن بيللا افريقيه

يا بن بيللا

في سجنك أكبر أنت من السجنان
أكبر من شعري

يا شعري هل تسمع دمدمة الطوفان
هل تسمع صرخة بن بيللا
صرخة حرّ خلف القضبان
سجنوه ... وضعوا الأغلال بكفيه
عصبوا عينيه خمس سنين
كي تنطفئ شمس الثوره

يا بن بيللا ...
لكنّ العار ، وخيبة سبع سنين
العار (لديجول) وباريس
العار لاعداء الثوره

فالثورة ، ما زالت تكسو
قمة أوراس ، وتسقيها
والثورة ما زالت تمشي
فوق جماجم جلاّديها

يا بن بيللا ...

ما أجمل أن يصحو إنسان
فإذا التاريخُ بلا قضبانٍ
وإذا الثورةُ في كل مكان
تركز أعلام الحرية
في أرضي ... في افريقيه

من أجلك عيون الهريفة

أكتب يا جبار الأحزان
أكتب باسم جلال الإنسان
باسم وجوه خلف القضبان ...
وجوه لم تعرفها بعد
باسم القتلى في كل مكان
المصلوبين على الجدران
المنسيين بلا أكفان

بعيداً عن ضوضاء المجد
المشنوقين .. المنفيين
المهزومين ... المقهورين
من أجل عيون الحرية

من أجلك يا أفريقيه
يا ذات الشمس الزنجيه
يا أرض الأيام الحيه
يا أغنية في شفتيه
أغنية ساذجة الألحان
أسمعها ، فيضج بروحي
قلق الإنسان المجروح
ويغيم على عيني دخان

أكتب يا جبار الأحران
أكتب فوق صدور الأزمان
أكتب فوق لهيب النيران
أكتب فوق بريق التيجان
أكتب فوق خيوط الأكفان
أكتب ... أكتب لا تتردد
أكتب فالظلمة تتوقد
أكتب فالكلمة تتجسد

وعلى الأفق جواد أسود
يتوهج نوراً حيث سرى
وخطى عارية ليس تُحدِّد
وأياك تمتد ... وتمتد

تحفر للمستعمر قبرا
تبني فوق الظلمة جسرا
تعبره افريقيا الكبرى
أكتب .. فعلى أرضك ما زال
الرعب الأبيض ذو الأغلال
يغسل بالدم قلب الأطفال
وينكس أعناق الأجيال
فكان دم الإنسان تراب
وتجاريب التاريخ سراب
والحرية أشباح ضباب
وكان الأبيض نصف إله
وكان الأسود نصف بشر

قدر لفظته شفة الله

طين ... ودم

ذهب ... وحجر

عبد ، حر ، لا يستويان ...

كذب ... زيف

وهم ... بهتان

ليس على الأرض سوى الإنسان

الطاغية ... العبد الأكبر

ما ثمَّ إله يتجبر

كذب ما قالته الأديان

فاطلي يا افريقيه

إن الأجراس الوثنيه

والأقدار الكهنوتيه
أكلتها نار الحريه
ما أبقت منها غير دخان
فاكتب يا جبار الأحران
أكتب عن فجر البشريه
عن آخر أيام الطغيان
في أرضي ...
في افريقيه .

في ضوء الفجر

في ضوء الفجر ابتلَّت بالدم خمس رؤوس
انطفأت خمس شمس
كانت في آفاق بلادي
ذات الأحزان الصخرية
تتألق في ليل الكابوس
باسمك أيتها الحرية

في ضوء الفجر
تدفق شيء كالشلال
تدفق من أعناق رجال
صنعت أيديهم الاستقلال
صنعت من أجل الأجيال
أوه ... يا ثمن الحرية
أو لا زال علينا كي نعبر درب الهم
أن نغسل أوجهن بالدم
دم خمس شمس بشرية
أوه ... يا ثمن الحرية

في ضوء الفجر الأخضر ...
كان الليل يجر خطاه
جائحة فوق الدم عيناه !

لو ماتت في شفتي الكلمات

زمني قاس ...
زمني جلاد لا يرحم
زمني وجه يتفجر من شفتيه الدم
زمني يا أخت هوايا أصم
يخنقني كي لا أتكلم
وأنا إنسان يتالم
وأنا أبصر ، أسمع ، أعلم

أعلم ان الحرية تحكمها القضبان
أن شعوباً ما زالت تتبنى الاوثان
ان الثورات تموت وتولد في الإنسان
أعلم اني لا شيء ... سوى ظلمات
لا شيء ... سوى روح مظلم
لو ماتت في شفتي الكلمات
ولو أطبقتُ عليها الفم

زمني يا أخت هوايا حزين
صوتُ نبيٍّ ... وصراخ سجين
وصباح ... ومخالب تنين
تقطر بالدم فوق الآفاق الشرقيه
لتظل الشمس وراء العالم منسيه

ليظل الإنسان الخلاق

ابن الأيام المغسولة

ببطولات القرن العشرين

يساقط ملويّ الأعناق

تحت الأقدار المجهولة

ويموت ...

وفي كفيه الطين

زمني ... يا أخت هوايا هرم

في داخله جثمانُ إله

ما زالت توميء لي عيناه

أن أسجدَ ...

لكني أعلم

أن حرير العالم مهما غطى الأموات
ستظل عرايا دون حياة
ستظل رفاتاً يتشم
لو داست فوق ثراه قدم

زمني ... يا أخت هوايا عجب
موسم جوع ... وجبال ذهب

انفعالات

مثل خريـر الدم كان صوتها
يسقط فيّ ... مثل دقات المطر
على القبور البيض ... مثل أوراق الشجر
إذا الخريف اجتاحتها عند السحر
فارتجفت ... ثم هوت
تصرخ في وجه القدر

وكان وجهها الذي عرفته يوماً
فغطّيتُ الحقول بالزهر
لأجل وجهها ...
ودورّتُ القمر ...

كان غريباً مثل تمثال حجر
فيه ألوهة البشر
ووثنية البشر ...

وفيه بئر موغل خلف الغسق
أمواجه رشحُ دماء وعرق
وريحُه صوت انفعال وأرق
وامرأة حبلى مدلاة العنق
تغسل وجهها شاحباً ... نصف شفق

من الدموع والعرق
وفيه قصر يستحم بالسحب
سماؤه من الذهب
وأرضه من الذهب
حتى الذين اضطجعوا داخله
دون حنين ... أو تعب
آلهة من الذهب

وفيه صوت خائق ...
سمعته ينسلُّ في بطن شديد
كأنه ينفذ من بين السدود
كأنه يصعد من غور بعيد
من جثث خلف الحدود

وأُمم من العبيد
تجر خلفها القيود
كجبل من الحديد

ذات مساء كنت أصغي في ندم
لصوت تمثال أصم
لثورة بلا ألم
لصرخة بغير فم
تهيب بي ...
ان انتقم ... ان انتقم ... ان انتقم

اعترافات

الدرب كثعبان ينزلق خلال الغابه
كسحاب أسود يتراكم خلف الظلمه
لا خفق جناح ... لا رعدة نجمه
لا شيء لكي أكتب كلمه
فالكلمة في شفة الله
والله على الأرض سجين ...

لا شيء ...
ويتجهّم حزني
ويغطّي عرق الموتى
وأحس بشيء مصلوب
ينزع أطراف المصلوبه
ويغوص بصدري كالسكين

(دع المقادير تجري في أعنتها
ولا تبيتنّ إلا خالي البال)
ويُحي من هول الاكذوبه
ويُحي ... وأنا شفتا شعبي ... أنا عيناه
كيف تناسيت ضحاياه
وأنا أعشاب لولاه

أنا لولاه طين ودخان

إني أنزف خجلا

إني أخفض هذا الرأس العالي عارا

لو لم أكتب شيئا

لو لم أنفض عني هذا اللاشيء

يا أبناء القرن العشرين

النصف المنتصر الآتي

المتحرر من ظل الخوف

القادم من شرفات الغد

ولو اني لم أركم ...

لم أبصر أوجهكم ...

إلا أني أسمع وقع خطاكم عن بعد

يا إخواني
إني أحمل كل خطيئة عصري
فأنا شاعر
أظلم عينيه بريق العصر

يا إخواني ...
كنت أراهم يمشون ملايين إلى الموت
يحتضرون لدى كل مسيح
يجرون جموعاً خلف الريح
وأنا أغمض عيني
أكسر سيفي
أطرق ...
أحضن عاري في صمت

الدين عذاب

الفن عذاب

الصمتُ عذاب

وأنا شاعر

ماذا أملك إلا أن أجترَّ عذابات الناس

أرثي الأموات ، وأبكيهم

(مات فلان يرحمه الله

كان يفيض حياه ..

كانت عيناه طيبتين بغير ألم

كانت قدماه حافيتين بلون الدم

ما مشتاً يوماً لخطيئه

يرحمه الله ...)

وأنا شاعر

أعلم أن فلاناً يرحمه الله

مات كما عاش بغير ثمن

يحلم بالجنة ، وهي وطن

دميت فوق الأشواك خطاه

(يرحمه الله)

لو كان يطهرني النسيان

لو إني أحمل في صدري حجراً

لو إن الشيء الخافق في صدري قطعة فولاذ
لنسييت

لمزقتُ الصفحات السود

لو كان يطهرني الغفران

لبكيت
ولكني شاعر
أظلم عينيه بريقُ العصر

النقدم

يولد في أعماقنا كالشجر الغريب
يكبر مرتين ... قبلما نراه
كما تهب فجأة سحابةُ المغيب
والشمس ما زالت تبارك الحياة

وعندما يولد فينا ذلك الزوال
في لحظة تعرفُها الحياة بالقلق

نصبح نحن مثلما نغوصُ في الرمالُ

ذاك لأن شيئاً في نفوسنا احترق

نصبح أعيناً ترى ... ولا نرى

جامدة مثل عيون ميتتين

نصبح أروساً ثقبها الكرى

وصبّ ملئها الفراغ والسكون

نصبح أقداماً تغوص في ثرى

يغوص تحتها ملايين السنين

ذاك لأن شيئاً في نفوسنا ثمين

داست عليه قدم

ذاك لأن الندم

يشبّ في أرواحنا كل حين

سرعان ما أنسى

سرعان ما أنسى ..
فلا أذكر من أنتِ .. وأين ؟
رأتك عيني .. أنت يا عيني ..
يا شهوة عين ..
يا عرق الحنين ..
يا عاصفة في شفتين
يا عنقا .. يا نهراً أبيض معقود اليدين

يا شعراً .. ضفیرتین من أسی ضفیرتین
یا قدمینِ حلوتینُ
قدمینِ حلوتینُ ..
یا جزراً صبت شذاها فی دمائی لیلتینُ
فاظماتنی مرتین ..
وغرّبتنی مرتین ..
سرعان ما أنسی فلا أذكر
من أنت .. وأین ؟

سرعان ما أنسی ..
فلا أذكر حتی ذکریاتِ
أترکها عریانة خلفی
وأمضي لحياتي

أتركها .. وهي سحاب عابر في ظلماتي

أتركها لم التفت خلفي

ولا طال التفاتي

أتركها .. هل حزنت روحك

يا مرآة ذاتي ..

لا تحزني .. لا تجعلي روحك سوداء الصفات

لا تجعلني الغربة تجتاح جلال الكائنات

وانسي حكاياتي .. وضوضائي

وانسي كلماتي

إني سأنساك ..

ولن أذكر حتى ذكرياتي

لكننا تهتف بي عيناك

ماذا تبغيانِ ؟

من شاعر مثلي ما زال خرافى المعانى

من نأثر مثلى ..

ما زال سجين العنفوان

الحب ؟

هذا الحجر النأى فى كل كيانى

أخشاه يا عينيه ..

يا عيني حبيبي .. أن يرانى

يوماً بلا حب

فيمشى كبره فوق هوانى

وأن أنأديه ..

فلا يملأ قلبي بالأغانى

ليلة السبت الهزين

الليلة .. الليلة يا حزينه العينين ..
ازدهر الصبار

فوق قبرنا القديم ، ازدهرت شجيرة الصبار

أضفت على بقاينا ظلالها السوداء

كأنما لم يكفها أنا غدونا غرباء

وأنها تمتص^ش مما تزفت أرواحنا

فنصببت جذوعها من فوقنا صلبان

تكسو بها موتى بلا أكفان
الليلة .. الليلة يا حبيبتي
كانت مع السحب عيوني
وأنا خلف جداري جثة يسجنها جدار
أكبر مما تبصرين أنت يا حزينه العينين
حالك الظلمة .. حالك النهار
يدفننا يحفر قبرنا في كل يوم مرتين
ونحن بعض جثتين
ليس على وجهيهما إلا ابتسامة احتقار
وشهقة احتضار

الليلة الدموع .. الليلة الندم
مليون زهرة تسحقها قدم

وجه قتيل يبتسم
شمس تحيض دم
اختلط العذاب بالسأم
القيد في الشفاه ..
والسياط في الجباه
احترقت ستائر الإله
حتى أنائي الأزلي .. شاه
أنائي المقدس انحطم
يا لفضاعة الألم

اغواءة

تمنيت .. لو لم تقم بيننا كل هذي السدود
ولو كنت يا أبعد الناس عن مقلتي
ويا أقرب الناس منّي إليا
تمنيت .. لو كنت بين يديا
هنا في سكوني العجوز القعيد
سكوني الذي يترامى عليّا
ويلتفّ حول يديّا

ويسجن في الرعود
ويهبط حولي
يهبط مثل الجليد
تمنيت يا أجمل الغانيات جمالا
إذا خجلت مقلتك
أو التهببت وجنتاك اشتعالا
ويا أعظم الفاتنات نقاء
وأرفعهن سماء
وأبعدهن منالا
تمنيت لو كنت أنت معي الآن
أنت معي .. أنت
أنت بعينيك .. صوتك .. شعرك
هذا الدجى المخصب المبدع

أمرغ في حقله الاستوائي
في موجه الشفقي الشتائي
أمرغ في لحظة كبريائي
وأشرب من أدمعي
وتجتاح روعي أجراس فجر
فأسقط في موضعي
ويغمى عليّ
وتأخذني غفوة فوق صدرك

تمنيت لو لحظة من حقيقه
أراك بها . ويعود الخيال
يمد ستائره دوننا
ويعود السام

يعانق روعي الطليقة

ويبذر فيها الندم

ويحفر نهر الألم

في صخور الجبال

ليته لا يزال

ببطء يموت

ببطء يجر جر ظله

إلى أين .. والليل ، والريح حوله

ولم يبق في العمر إلا أقله

إلى أين يمضي بهذا العذاب

يفتح باباً .. ويوصد باب

ببطء يموت

كان الزمان .. من الرعب

قدمان حجريتان

مصفتان .. معذبتان

تكادان في عمق هاوية تسقطان

تكادان من ثقل هائل تصدآن

ببطء يموت ويحتقن اليأس في روحه ..

ويضج الندم

متى يا غريب تعود ؟

فإن التراب القديم

يحنّ لخطوك ما زال

والريح لم ..

تلق عن كتفيها الغيوم

وما زال حزنك في كل فم
متى ؟ وينكس هامتة كالعلم
على ربوة من رماد ودم

ببطء يموت
ألا ليتة لا يزال
الغريب الذي لا يزال
يقتني الذكريات الشريده
ويعد النجوم البعيده
ويشد إليها الرحال
ليتة لا يزال
ويموج الصدى في شعاب الجبال
ليتة لا يزال
ليتة لا يزال

ماضيها

ماضيڪ ..

لو آني آغار عليڪ من ماض

لا حرقني لظاه

لسقطت إعياء ، أطارده

وفي عيني جرح من رؤاه

فضي طلاسمه .. اهتيكي أسرارہ

ورموزه حتی آراه ..

وأراك أنت به ..

أرى حواء كيف تغوص في وحل الحياه
قصيه ضاحكة ، وباكية

وصارخة .. ومطبقة الشفاه

فلربما أيقظت غيرة شاعر

مثلي .. فعاد إلى هواه

ماضيك ..

لا .. لا تخجلي منه

فلي ماض .. له نبض كنبضي

تعدو على بعضي ، سنابك خيله مذعورة

وتدوس بعضي

ماض دفنت عظامه يوماً ..

لأنسأه بآرض غير أرضي
فإذا به حيّ .. يطل عليّ مبتسماً
ويمضي حيث أمضي ..
وأفرّ منه إليه ..

ثم أعود يا أختاه حيث بدأت ركضي
ماضيك .. أو ماضيّ
سوف نعيش فيه معذبين
وسوف نقضي

وأفرّ منك إليك
يا ماضي سنيني الآتيات ، دجى وفجرا
لأكاد لا أقوى على رؤياك
كيف غداً أراك ، وأنت ذكرى

لوددت ، لو أني نقشتك في عظامي

في جبين الشمس شعرا

لوددت لو أني سكبتك في دمي

عرقاً إلهياً ، وعطرا

لوددت لو أني خلقتك

صورة ، لا تتمحي دهرأ فدهرا

لوددت

لكني حملت خطيئة الماضي

على كتفي قهرا

بعض معانينا

بعض معانينا العذاب يخفيها
يتمصّها .. حتى يلاشيها
يبني ستاراً حولها قائماً
تلمسه الروح .. فيدميها

بعض معانينا حياة تموت
يموت فيها الفرح

يموت حتى الحنين
ونحن نبحثو حولها خاشعين
وفي تجاويفنا ..
صخر .. وعشب .. وطين
بعض معانينا ، خطى مثقلات
بالحقد ، والنقمة
ملوية الأعناق ، متكبرات
لا تعرف الرحمة
لأنها تولد في العتمة
لأنها تخوض في الظلمة

بعض معانينا ، غير معانينا
لولا قبورها محفورة فينا

الى عيني غريبتين

سيدتي ..

لو لامستُ عينيك هذي الكلمات العاشقات

صدفة .. لو عبرت خلال الشفتين

فاعتذري عني لعينيك

لأنني اتكأت في ظلها ذات مساء

سرقته غفوه ..

داعبت في سكونها النجوم والقمر

نسجت زورقاً خرافياً ، من ورق الزهر
وسدت روحاً متعباً
سقيت شفة لاهته
أطفأت شوق عين

سيدتي ..

حين التقينا صدفة لقاء الغرباء
كانت كآبتي مثلي ، تمشي في الطريق
عارية بلا قناع
مشقوقة القدم ..
كانت كآبتي أنت
وكان الحزن ، والضياع
كان الصمت ، والندم

يعانقان شاعراً أنهكه الصراع
والشعر يا سيدتي في وطني غريب
يقتله الفراغ ، والعدم
وانتفضتُ روعي حين أبصرتك يا سيدتي
شعرت فجأة ، كان خنجراً يغوص في دمي
يغسل قلبي ، وفمي
يطرحني مخضب الجبين ، ضارع اليدين
تحت ظلال مقلتيك الحلوتين

سيدتي لو التقينا فجأة ..
لو أبصرت عيناى تلکم العينين
الأفقين الأخضرين الغارقين في الضباب والمطر

لو جمعنا صدقة أخرى على الطريق

وكل صدقه قدر

فسوف ألتئم الطريق مرتين

مأساة الإنسان الآخر

.. وتحرك شيء لا أبصره .. لا أدريه

شيء عيناه غائستان بأعماقي

ومخالبه فوق جروحي

— لا تضعف ..

إن الضعف يميت القلب

لا تسقط ..

لا تلق سلاحك

أحرق في الظلمات وشاحك
أحمل نارك في كبر .. يا انسان العصر
ضع أقنعة الآلهة على وجهك ..
وتحدّ القهر ..

أصلب عينيك
أصلب شفّتك
أصلب رأسك
أصلب شمسك

لا تتعذب .. لا تتألم
امضغ أحزانك .. وتبسّم

ومضيت ...

مضى الانسان الآخر ، فوق الريح

يحمل صلبان الموت على كتفيه مثل مسيح

— من أجل الضعف أموت ؟

— بل من أجل القوة

إن الموتى أقوى بالموت من المأساة

كيف تصادف أن تبقى المأساة على الأرض

أن تحيا في وهج القرن العشرين

— المأساة هي الموت

الطفل يشب على قدميه .. يعيش .. يموت

المهد غطاء اللحد .. القابلة ذراع الحفار

لو أن الطفل أراد

لو أن الطفل أختار

— أكان يريد الموت

— المأساة الأقدار

ومضيت ..

مضى الانسان الآخر .. انسان القلق الغاضب

المأساة الأقدار

— يوماً ألقيت على كتفي جرابي المثقوب الساغب

لا زاد ، ولا ماء ، ولا ملح

العُشبة إن وجدت تشبع جوعك

تغنيك عن الحنطة ، والقمح

جسدي مصبوغ متسخ تنكره العين

— أنا جسد تنكره العين —

الجسد المتسّخ ، دليل القلب المغسول

قلبي بعذاباتي مغسول

مرقّعتي ثوبي .. وغطاي

حذائي مسكين ، وعصاي

— المأساة الأقدار

كيف أراها .. تلك الأقدار تعذبني

تلك الأشباح القدسيه

قلق الانسان يعذبني ..

يملاً بالأعشاب يديه

لسألت .. لو أن الأقدار حقيقه

عن انسان قبلي ..

عن مسكين مثلي

رجموا جثته حيا ..

فقاوا عينيه ..

انتزعوا قلبه ..

ذات صباح ، كان الانسان يحاول أن يبصر ربّه

دفنوه في أعماق التربة ، وأقاموا الجدران

لم تكن الجثة ما ينخشون ، ولكنّ الكلمه
حين تصير الكلمه ، مجد الخالق ، مجد الانسان
— المأساة الانسان

يا إنساني الآخر لنعد
أوَ ما تبصر دمنا فوق الطرقات يسيل
رويّنا ظمأ الأرض به
لو كان بذوراً لا خضرت أحشاء الأرض
دمنا فوق الطرقات يسيل
وما زالت أحشاء الأرض

الطريق

المشهد الأول

.. وفجأة دبّ على الطريق وقع قدمين
طريدتين ، تجريان .. تجريان
ثم اختفى صداها .. ثم أطلّ
خيال جنديّ مدجّج السلاح
حدّق في الظلام برهة .. ثم اضمحلّ

وهبط السكون كالجبل
وعاد يعبر الطريق ، وقع قدمين
- الموت في طريقه .. يا ليتته لا يقترب
الموت والعدو بالمرصاد
يا ليتته يعود
فالموت في بنادق الجنود
والضعف ليس يقتل الغضب
والحب ليس يصرع الأحقاد
وهو يداه .. لا يحمل في يديه
سيفاً ، ولا قنبلة
وإن يكن يحمل في جانبيه
ما يحمل الموت له
روحي فداه

وغيمت سحابه
فغطت القمر
وبلت الشجر
واختلط الرصاص بالمطر
والصمت بالكآبه

المشهد الثاني

على طريق الفجر ، مشيت العيون
تقبل الثرى الغارق في الدماء
وترمق السحاب في السماء
فخلف كل غيمة سماء
وخلف كل ظلمة ضياء
وخلف كل صرخة مدويه

يسكتها الطغاه
يولد طفل التضحية
كأنه إله
في ثورة ، في أغنييه
تنمو على الشفاه
في كلمة يا بلادي
في حفنة من رماد
في لحظة استشهاد
ممتدة في الحياه

المشهد الثالث

الدم ما زال على الطرق ينهمر
الدم والرصاص والمطر

الدم كالضباب ينتشر
الدم يثقل الهواء كالحجر
كالسحب ، كالرياح ، كالأسلحة
الدم صار أذرع
صار رماحاً ، وسيوفاً مشرعه
الدم غطى الجباه
صار نخيلاً وشجراً
صار ملايين البشر
تنبض بالحياه
إني أراه .. أراه
فهو دمي يا طغاه

المشهد الرابع

قلبي على الدرب الطويل لم يزل
يضج رغم المنايا
وينشر الدموع ، والقبل
على شفاة الضحايا
على العيون المطفآت والجباه
مصفرة ، كأنها في صلاه
على وجوه تقهر الطغيان وهي صامته
سجينة الكبرياء
على أياد تضفر الثورة وهي ميتة
موغلة في الفناء
قلبي على رصاصة معقودة اللسان
يطلقها طاغية جبان

شلت عليها يداه
ليسكب الظلمة فوق الزمان
فلا تضيء خطاه
لتخلد المأساه
على جبين الناس
وكي تظل الحياه
مهدورة الأنفاس

اغنية في الضوضاء

ماذا أصنع لك ...؟
يا أجمل أجمل شيء في دنياي
ماذا أصنع لك ؟
هل أملك شيئاً آخر غير هواي
الظلمة تملأ عيني
وقيد الظالم حول خطاي
وطريقي أخرس

لكني أسكب في شفتيه غناي

ماذا أملك لك يا أختي ؟

يا أخت صباحي .. ومساي

يا أغنيتي الحيرى ، في هذي الصحرا

ورجع صداي

يا قيدي الأكبر .. يا سجنى البشري^ة

ويا جرح هواي

ماذا أملك لك ؟

هل أملك الا حبك ملء دماي

وبقايا من أمل باق

يلهبني .. ويشير أساي

فاعود أسير ..

وأغلالي تثقلني .. وتشد خطاي

وأعود وتستيقظ روحي

وأعود .. وتمتد يداي

وتقولين نسيتك أنت ..

نسيتك في ضوضاء صباي

وأنا فيك أعيش ..

وتنمو شجراتي

ويفوح شذاي ..

وتدور شمسك في ليلى .

فيضيء ... وينهار دجاي

وتقولين نسيت

واصغي .. أسمع صوتك ملء دماي

يا صوت الزلزال تكلم

أسمعها في البعد نداي

الطفل والعاطفة

الساعة منتصف الليل
وعلى الدرب تنام الظلمه
أنثى .. ساقان وجمجمه
ما زالت تتاكل غلمه
وصراخ أخرس .. أسمع
يتحدر من أعلى القمه
وضحايا تتعذب مثلي

في شوق .. من أجل الكلمة
الساعة ، منتصف الليل
ومع الظلمة يصحو الشعراء
يسقون نفوساً ميتةً
ويضيئون عيوناً عمياء
ويغنون لفجر آتٍ
فجر بشري الأضواء
ويقولون قصائد شعر
ويطيلون إليها الإصغاء

وذكرتك .. يا نجمة حزني
حزني المتوهج ، في الليل
والعتمة ، تتمطى ساما

تتلقى أرقاً من حولي
وأنا أتطلع مبهوراً
كالطفل الراقداً في الظل
أحلم بعيون مشمسة
تعدو في الأفق المبتل
وذكرتك .. والليل سحاب
يمشي معصوب العينين
فبكيت لأن صباباتي
تشنقني فوق صليبين
وبكيت لأنك في عمري
شعر .. وعذاب شقيين
وبكيت . وصوتك عن بعد
طفل مشاغل القدمين ..

الريح وطفلك ، والظلمة

وجراحاتي ، فوق الدرب

لأكاد أراه .. أرى جثته

ملقاة فوق العشب

فأصيح بها : يا ريح قفي

هذا الطفل الضائع قلبي

رديه .. فتنهار الأصدا

وتمتد قصور الرعب

وأطوف مع الليل حزينا

أجري .. والمأساة أمامي

تجري .. ها أنذا يا طفلي

آت أتسلق أيامي

ها أنذا يا طفل الرغبة

أضفر من أجلك أحلامي
ها أنذا .. حتى ينمو العشب
ويتعانق فوق رخامي

المطارد الإفريقي

أصبح الصبح فلا السجن ، ولا السجن باق
وإذا الفجر جناحان يرفان عليك
وإذا الماضي الذي كحل هاتيك المآقي
والذي شد على الدرب وثاقاً لو ثاق
والذي ذوب ألحان الأسى في شفتيك
والذي غطى على تاريخنا في كل وادي
فرحة نابذة من كل قلب يا بلادي

أصبح الصبح .. وها نحن على البعد التقينا
التقى جيل البطولات .. بجيل التضحيات
التقى كل شهيد قهر الظلم .. ومات
بشهيد لم يزل يسقي بذور الذكريات
أبدأ ما هنت يا افريقيا يوماً علينا
بالذي أصبح شمساً سطعت ملء يدينا
وشذى تعدو به الريح ، وتختال الهوينى
يا بلادي

السيف والرايح ،
أصبح الصبح .. قباب عاليات ، وبيارق
تفرش الأفق .. ودقات نحاس وطبول
ايه يا افريقيا الكبرى ، التي تبني المشارق
أنا ما زلت أرى وجهك في ضوء الحداثق

أمس.. والظلمة كانت تسكن الدرب الطويل
والخطى فوق الخطى .. والجفن فوق الجفن عالق
يا بلادي

أصبح الصبح .. لنا خلفك يا صبح الحصاد
ألف صبح قد نسجنه بأضواء العيون
أيها القادم محمولاً على سمر الأيادي
يا حصاد العرق الدامي .. وميراث الجهاد -
أيها التاج على جبهة شعبي .. وبلادي
آه ما أروعك اليوم ، على هذا الجبين

العار

لما انغرس الخنجر ، في الصدر العاري
وتوهج قنديل الدم
وانكسرت آنية الرغبة
سقطت أجنحة الطير العائد من أرض الغربه°

لما انغرس الخنجر ..
كانت سيدتي الشمس تموج عينيها فوق الغابات

وتغني لحقول الكاكاو الممتدة .. والشلالات
وقوارب صيادين مساكين حزانى الضحكات
ونساء علقهن إله الجوع على طول الطرقات
وهبطت إلى كوخى يا سيدتى
لم يا سيدتى ذات نهار
مرغت جلالك ، فوق وسائد صياد مثلي
قاربه مكسور .. وموانئه للريح ممر
لم يا ذات العنق المرمر
حتى انغرس الخنجر

عاري شمس
هل أنسى عاري ، يا سيدتى الشمس
ساظل أخيه وجهي عن وجهي

ربما أنساه

ربما أنسى اني خضبت يدي يوماً بدماء الآه
ربما أغسل عاري عن روعي يا أختاه
ولو ان العار يزين صدوراً في عصري
ويرصع تيجان ملوك ..
ويقيم عروش طغاه ..

ريح تمر

قلبي من أجلك تابوت رخام أخضر
يتهدل فوق جوانبه الديباج
ويغطيه ضوء الشمس الوهاج

وكأشجار الغابه ..
يخضوضر من أجلك حزني
ينمو .. يتمدد .. يتسلق روحي

حزني الزنجي العاري ، ذو الجسد المقرور

وكأمطار الغابه ..

يتصبب من أجلك حزني

سحباً .. سحباً فوق جدار الزمن المهجور

وكأصوات الغابه ..

يتعرى من أجلك حزني

يتشقق أجراساً ، وطبولاً وثنيه

ومرايا تعكس روح الأرض الزنجيه

لا يا قمرى النائم في الديباج الأخضر

عيناي زجاج مصبوغ ، ويداي حجر

وأنا لا أكثر من ريح في الغاب تمر
اني لا أكثر من ريح في الغاب تمر

غاية مورت

نيويورك .. ملء عروقي كآبه
وعيناي فوق ثراك سحابه
ولستِ بلادي
ولا قلبك المتحجر قلبي
ولا أنت في وهج الشعر دربي
فأفريقيًا موطني والزنوج المساكين شعبي
الزنوج الذين أقاموا هياكلهم أمس - جسرا

تمر عليه إليك الحضاره
والذين يضيعون في طرقاتك رعباً وقهراً
وتضحك أفواههم في مراره

والذين لدى كل ضربة معول
وفي كل رعشه منجل
وملء مناجمك المعتمات
وملء شوارعك المتخيمات
وملء ترابك .. ملء قبابك
ملء كنائسك العالياً
سينسون انك سوط ، وانك قاتل
وانك، حستاء مغلوله بالسلاسل
ولكنهم يا نيويورك مهما نسوك

ومهما تناءوا ، وراحوا يشيحون عنك
ستركض أرواحهم من بعيد إليك
لتدفن أوجهرها في يديك
وتحنو عليك
وتجهرش مخنوقة بالبكاء
لأنك أمّ ، وان كنت قاتلة الأنبياء

نيويورك يا غابة الموت .. ملعونة كيف كنت
فهذا الذي لطخته يداك ، جبينك أنتِ

حصاد الشعب

زحفت مواكبنا .. فقل لصحائف المجد استعدي
هذا الذي غرسته كف الشعب ، في اليوم الأشد
هذا حصاد القادرين ، على الإرادة والتحدي
ولقد قدرنا ، رغم بطش الأجنبي ، المستبد
ولقد هدمنا ، كل ما في الأمس من سجن وقيد
ولقد هزمنا ، كل ما في الأرض ، من ضعف وحقد
ولقد عقدنا في طريق نضالنا أكاليل ورد

يا شعبنا .. وخطاك أعصار

وصوتك صوت رعد

وبيارق الشهداء فوق ثراك من جدّ جدّ لجد

والشمس حانية عليك ، تطل في تيه ووجد

ترنو إليك .. وأنت ثورة ثائرين لخير قصد

لحياة شعب .. وانتفاضة أمة .. وبناء مجد

ولتصبح الحرية الكبرى ..

طريقك دون حدّ

يا ملهم الشعراء ، أروع شعرهم يوم التحدّي

ماذا أقدمه إليك ؟

وأنت كل الشعر عندي

معزوفة لدرويش متجول

معرفه لدر ویش متجول

معزوفة لدرويش متجول

شُحِبْتُ رُوحِي ، صَارَتْ شَفَقاً
شَعَّتْ غَيْماً وَسَنَا
كَالدُرُوشِ الْمُتَعَلِّقِ فِي قَدَمِي مَوْلَاهُ أَنَا
أَتَمَرَّغُ فِي شَجْنِي
أَتَوْهَجُ فِي بَدَنِي
غَيْرِي أَعْمَى ، مَهْمَا أَصْغَى ، لَنْ يُبْصِرَنِي
فَأَنَا جَسَدٌ .. حَجَرٌ

شيءٌ عبر الشارع
جزرٌ غرقى في قاع البحر ..
حريقٌ في الزمن الضائع
قنديلٌ زيتيٌّ مبهور
في أقصى بيت ، في بيروت
أتألق حيناً . ثم أرزقُ ثم أموت

* * *

ويحي .. وأنا أتلعثم نحوك يا مولاي
أجسدُ أحزاني ..
أتجردُ فيك
هل أنت أنا ؟
يدك الممدودة أم يدي الممدودة ؟
صوتك أم صوتي ؟

تبكيني أم أبكيك ؟

* * *

في حضرة من أهوى

عبثت بي الأشواق

حدقتُ بلا وجهٍ

ورقصتُ بلا ساق

وزحمتُ براياتي

وطبولي الآفاق

عشقي يفني عشقي

وفنائني استغراق

مملوكك .. لكنني

سلطان العشاق ! -

بيروت - ١٩٦٧

نقش على الشفتين

نقشوا اسمك في شفتي ..
وكانت بيروت العجورية معشبة القدمين
يستلقي معطفها الوحشي كسولا
في ظل الكتفين
وقبعة من ريش نعام
تقضم أطراف الأذنين
ويرقرق دمعته قلب العقد الماسي

وتسقط من فم مولاتي القاسي
ضحكات العام

ويمر خلال الضوء غلام
- بيروت عجوز تلبس زينتها
في كل مساء

لكلاب الصيد .. وللغرباء
أما نحن الفقراء !

.. ويحرك كالمجنون يديه

ويبصق في استعلاء

والليل الشتوي السنجابي الأحلام
يتوارى في غابات الأرض
بعيداً عن وهج القاعات
والبالونات

وأشجار الميلاد

والساعات المتلاصقة الأقدام

تترقب شاحبةً

خطوات القادم عبر ممرات الأيام

* * *

ويُطلُّ يسوع ..

الثلج يغطي برده البيضاء :

— ها أنت أتيت

غريباً يقطر وجهك حزناً

حيث مشيت

مسيرة ألفي عام

لا تخبزك أنت ولا ملح الأديان

الحق أقول ..

الخالق والماساة هو الإنسان
ويغيب يسوع

* * *

وتلوح وجوه الاثني عشر
- الأسفار اهترأت
ما بين دُخان التبغ وضوضاء الحانات
وحياة السيرك ، وفرسان الحلوى
وملوك الصالونات
عودوا لمغارتكم
فالعالم لم يعد العالم
وأبكوا . . ابكوا
فيهوذا الخائن فوق محفته الملكية آت
وتغيب وجوه الاثني عشر

* * *

وَيُخْضَرُ اسْمُكَ فِي شَفْتِي^٣
كَالنَّقْشِ الْفِرْعَوْنِيِّ
عَلَى قَبْرِ مَنْسِي^٣
كَالنَّقْشِ عَلَى أَعْنَاقِ الطَّيْرِ
عَلَى جِلْدِ الْحَيَتَانِ
كَالنَّقْشِ عَلَى أَكْتَافِ أَمِيرِ أَفْرِيقِي^٣
كَانَ اسْمُكَ فِي شَفْتِي^٣
مَنْقُوشاً مِنْذِ اسْتَيْقَظْتَ الْأَكْوَانِ
وَأَتَيْتُ الْعَالَمَ طِفْلاً
أَغْرَقَهُ الطُّوفَانُ
فَأَخْطَأْتُ الرُّؤْيَا عَيْنَاهُ
وَمِتْ سَنِيناً
ثُمَّ بَعَثْتُ^٣

وها أنا ذا يا مولاتي
استغرق في رؤياه

بيروت - ١٩٦٧

تحديق عبر الأشياء المرفوضة

لماذا تظل الوجوه المليئة بالصمت
مُوغلةً في الذهاب ؟
أأقنعة أم وجوهٌ محدّقةٌ
في مرايا العذاب
لماذا المقاعد مصفوفة والقناديل والزّهر
حتى كأنّ ستارَ النّهاية
ستارُ البِداية

* * *

لماذا مشى قاتلاً ثم عادُ

قتيلاً ..

يداه على موضع الجرح ، عادُ

كانُ قد تذكر شيئاً ، فعادُ

وفي قلبه السيف والجرح ..

إني أحبك ..

جرحيَ أني أحبك ..

لكن قلبك لا يعرفُ الحبَّ ..

قلب صنوبرة .. سلحفاة

لماذا أنا أنتِ .. يا ويلتاه

لقلبكِ هذا البناء القديم

الصنوبرة ، السلحفاة

البناء القديم

عَبَرْتُ دَهَالِيزَهُ أَلْفَ عَامٍ
أُغْنِي ، وَأُبْكِي
أَشَدَّ طَبُولِي تَحْتَ الرِّخَامِ
وَأَرْقِصُ خَلْفَ حَنِينِي وَشَكِّي
وَعَدْتُ كَمَا جِئْتُ تُتَكَّرُنِي خَطَوَاتِي
وَأُنْكِرُ ذَاتِي ..

* * *

لَمَّاذَا أَحْدَقُ فَيْكِ ..
وَتَصْعَدُ بِي صَلَوَاتِي إِلَيْكِ وَتَهْوِي ..
فَمَوْتِي حُضُورَ جَدِيدٍ ، وَصَحْوَهُ
وَبُغْضِي تَأْكُلُ شَهْوَهُ
وَرَفْضِي احْتِوَاءَ
وَعَقْمِي نُبُوهُ

لماذا أحبكِ أنتِ ؟
أحلقُ بالليل حول سريركِ نجمةً
وأشرقُ غيمهً
وأغدو أنكِ ساراً ورحمةً
وطفلاً عميق البراءة
يحلم في ظلِّ خيمه
بان صنوبرة أصبحت سلحفاه
فحدقَ فيها .. وتاهُ

بيروت - ١٩٦٨

ريح الهزن القادم

غضبي يتكسر في عينيها الضوء
وتصطدم الأشياء
تعود عناكب ميتة ..
ودمي عرجاء
تستغرق ضاحكة ..
في غرفة أرملة سوداء
أرجوحتها صدئت من أعوام ..

وخيوطِ رداءِ
يتآكل في صمتِ
وسحابُ بكاءِ
لمُغنٍ يستجدي رواد الحانة
مفقوءَ العينين
لطفل ميتٍ في السنتين
لجيش يغرق في بحر الصحراء
لأن الشمس بغير يدين
لأوجه أطفال ، ونساء
تغرورق أعينهن قليلاً
خلف زجاج الموت
قليلاً خلف زجاج الموت
وتختلط الكلمات

وتشرق روح الصمت
وتنشقُ المرأة !

* * *

غضبي يا مولاتي ..
لو أعرف من أي الآفاق
تهبُ الريح
لكنت سبقت الريح
وكنتُ نشرتُ على جنبات ..
الأفق ردائي
من أقصاه إلى أقصاه
لأحجب ريح الحزن القادم عن
عينيك ..
وأنصبُ عرشك قرب الشمس

وأعزف موسيقياً مُحبّاً
في ملكوت الله

* * *

غضبي يا مولاتي
لو أقدر كنت ملأت حديقتنا الجرداء
بالزنبق والدُّفليّ
وكنت غسّلت كآبات الفقراء
من أجلك يا عينيّ
ولكني لا أملك إلا الكلمة في شفّتيّ ..
أسطرها حيناً في الصّخر
وحيناً أنقشها مثل المجنون
على صفحات الماء !

بيروت - ١٩٦٨

حكايات عشق في سالف الزمان

- ١ -

كشجرة ..

جاءت إلى النهر حزينة

فغطى بالضباب وجهها

وشدّها إليه حتى اغتربت

فوق يديه

غنوة ليلية بين شفاه قبره

- ٢ -

وهطلت ريحٌ عليكِ .

فانحنيتِ ، ومشيتِ

كيف تمشينَ وتنحنينَ

تمشي ، تنحني

على غصونها تدوس ذاتها ..

كانت تدوس الشجره

واخترق المسمار جبوتي

تأوّهتُ

اختلجتُ

سقط الموت يساري

سقط الحب يميني

رقصتُ كاللوحه في الحائطِ

كالناقوس أعلى البرجـ

كالنطفة في التكوين

من ينزلي عن حائطي ؟

عن موتي الراقص أعلى البرج

عن سريري التائه عبْر الموج

من ؟ يا هودجي العظيم

هودجٌ من الحرير والنعاس والشَّجنُ

صدركِ يا حبيبتي

حين يلفني ضبابه الكثيف يحْتَقِنُ

فيَّ الإلهُ والوثنُ

وجهكِ يا حبيبتي وثنُ

على مرايا قلبي الحزين

ابتَهَلت من حوله الشموعُ

وأمتدَّ على رُوحِي
ضياءُ القبرِ والكفنِ

- ٣ -

وأرتجَّت الأبواب في منفاي
عنك يا حبيبتي
أيقظتِ الرُّفات في الضريحِ
شفتاي

« يا نارَ الأسي اسكبي على نارِ الهوى
تضيءُ .. »

والعذاب يستريح
« يا نارَ الهوى اسكبي
علي نارِ الغضبِ »

تموتُ .. «

حيَّة الغضبُ

تموتُ .. «

مال حجرُ الزاوية الكبرى

تخطَّى صحراء الكون والزمنُ

دوى طويلاً وسكنُ

- ٤ -

يستغفرُ البحرُ الرياحَ

يشحذُ الرياحُ أن تهبَّ

كومة الرمادِ تعدو

خلف حفنةِ الدخانِ

الثلج والحريق توأمانُ

يعلّقان في سُقوف ماّتي
أيقونة وشمعدانُ
ويغرسان في دمي
سيفاً وصولجانُ
جراح سالفِ الزمانُ
أشعلت جراح سالفِ الزمانُ

بيروت - ١٩٦٨

أغنية موت قصيرة

وتهادتُ الغربه
عرجاءُ تبكيّني وتضحكني
وتريقُ ألواني .. وتغزلُني
ليلاً خريفياً بلا لونٍ
ليلاً عجوزاً طاعنَ السنِّ
يعدو بخيمته ويحملني

* * *

ورأيت بوماتٍ وأغربةً
تصطفّ عبر مداخل المدنِ

عمياء ترمقني
حيناً وتنقرني
وتظل تنقرني
وأنا أطلُّ عليك ..

غائرة القدمين والعينين في بدني
كالجذعِ كالحرابه
في غابتي المنسيّة الرطبه

* * *

وصرخت حين تلوّت الغُربه
بي .. في صفائر شعرها الوثني
يا أوّل الدنيا وآخرها

لولا هواك لمت في وطني !

* * *

أو أنتِ تلك ؟ كأن زنبقةً

حجريةً نبتت على دربي

وحملتها يوماً لأزرعها

ما بين مجرى الماء والعشب

فتجعدت ، وحنوت ثانيةً

فزرعتها في مخدعي الرطب

لكنها انفرطت ..

ولو صبرت ..

لزرعتها كالشمس في قلبي

* * *

أو أنتِ تلكِ المرأةُ الذئبُةُ
مرحى إذن بالموت في الغربِةُ

بيروت - ١٩٦٨

الجبل

و كنت لا أعـي
كنت أنا التمثال والازميل والخالق
كنت أنا الصبوة والمعشوق والعاشق
لما سرقت السرّ ذات ليلةٍ
من جبل الآلهة الشاهق
وعدتُ في سجنـي يا بيروت
تحدجني أقنعة الوجوه والبيوت

ورعشة طفليّة لرجل مبعوت^ه
تلفّني في موضعي
ووجهي الغريب يا ثلجية اليدين^ه
يبحث في خرائب العيون عن عينين
تعانقان أدمعي
والسرّ يا بيروت كان حلم لحظتين
وخنجرأ مرصعاً
يصدأ بين أضلعي

* * *

الله يا عجيبة النقوش
في حائطك المشقوق^ه
الله للشاعر والنبيّ ..
للعاشق والمعشوق^ه

للخالق .. الخالق في دهشته

لروعة المخلوق

الله يا بيروت للجبل

حين أضاء حجراً فحجراً ..

ثم اشتعل

بيروت - ١٩٦٧

رقصة في ذراع الغريبة

حتى إذا نسيت يا حبيبتي يوماً
ستبقى لي عشيقتي الكآبه
تلك التي لا تعرفينها ..
الحديقة ، البحيرة ، السَّحابة
تخلع ثوبها على قصائدي
تطل في ابتسامتي
تدور بي راقصة في حفلتي الفقيره

تجلس في دنيايَ حيث تشتهي
فهي على دنيايَ يا أميرتي أميره
تجيئني لابسةً إكليلها الشوكي
أو حاملةً شمعتها الضريه
تجعلني حكايةً على الشِّفاه
ترسم وجهك الإلهي
على عيني هاتين
فلا أرى سواه !

* * *

عشقتي الكآبه
أيتها الزائرة الغريبة الطِّباع
بيروتُ ثبَّتت قناعها
ومزقت قناعي

وها أنا وحدي في ظلامها
أضيع في ضياعي
أخاف أن تأخذني الغربه
من ذراعي
تأبّطي ذراعي
تأبّطي ذراعي !

بيروت - ١٩٦٨

يوميّات حاج الى بيت الله الحرام

- ١ -

قوافلٌ يا سيدي قلوبنا إليك
تحجُّ كل عام
هياكلٌ مثقلةٌ بالوجد والهيام
تسجد عند عتبات البيت والمقام
تقرئك السلام

يا سيدي
عليك أفضل السلام

- ٢ -

على الرفات النبوي^١ كل ذرة عمود من ضياء
منتصب^٢ من قبة الضريح
حتى قبة السماء
على المهابة التي
تخفض دون قدرك الجباه^٣
راسمة^٤ على مدار الأفق أفقاً عالياً
من الأكف والشفاه
يموج باسم الله :
- الحمد لك
والشكر لك

والمجد لك

والملك لك

يا واهب النعمة يا ملوك كل من ملك

لبيك لا شريك لك

لبيك لا شريك لك

- ٣ -

يا سيدي عليك أفضل السلام

من أمة مضاعه

خاسرة البضاعة

تقذفها حضارة الخراب والظلام

إليك كل عام

لعلها أن تجد الشفاعة

لشمسها العمياء في الزحام

- ٤ -

يا سيدي

منذ ردمنا البحر بالسدود
وانتصبت ما بيننا وبينك الحدود
متنا ..

وداست فوقنا ماشية اليهود

- ٥ -

يا سيدي

تعلم أن كان لنا مجد وضيّعناه
بنيتّه أنت ، وهدّمناه
واليوم ها نحن !
أجل ياسيدي

نرفل في سقطتنا العظيمه
كأننا شواهدٌ قديمه
تعيش عمرها لكي
تؤرخ الهزيمه !

- ٦ -

لا جمرَ في عظامنا ولا رماد
لا ثلج لا سواد
لا الكفر كله ولا العِباده
الضعف والذلّة عاده
يا سيدي
علمتنا الحب
فعلّمنا تمرّد الاراده

أبكِ لنا

وادعُ لنا

فالعصر في داخلنا جدار

إن لم نهْدِّمه

فلن يغسِلنا النهار

بيروت - ١٩٦٨

الأقنعة

قبل سقوط الأقنعة
وقبل أن تنهار
جوانب المسرح أيها الممثلون
أسدِلوا الستار
واطفئوا الأنوار

* * *

وحدي أنا الشاهد

والقاعة مزحومه
وحدي أنا الضاحكُ
والقاعة مهمومه°

* * *

حصدتُ بالكفين
صحراءَ من الشوكِ
لعلني أبكي
فإنني أخجل من ضحكي

* * *

تقول لي عينا المشاهد
الذي يجاني
خناجر المقتنعين دائماً في عجله°

تقول لي :

جفت دماؤه على ثيابهم
من قتله ؟

ويمضغ السؤال صاحبي

وتكسو حاجبيه

دهشة مفتعله

حزنك يعنيني !

أريد أن أقول له

حزنك والأصباغ مقشعة

على وجوه القتله

دعنا نرى نهاية الرواية

المبتذلة

* * *

البطلُ الخيَّانهُ

يرنو جريحاً ذلك الطفل الملائكي

قلتُ : البطل الخيَّانه

إن لم يكن غداً

فبعد غدٍ الادانهُ

* * *

كانت تراباً هذه السماء

كانت قبّةً من النُّحاس

حين ذبحتم القرايين لها

لم تعطكم شيئاً

لتعطوه محبةً

لكلِّ الناسُ

* * *

وحدى في مقاعدِ النظّاره
أرتقّب النّبيّ والبشاره

الخراطوم - ١٩٦٦

المفاجآت

يفجؤنا الموتى ..
فيبسمونَ مثلنا
ويحلمون مثلنا
بالريح والمطر°

* * *

يفجؤنا الموتى
الذين غادرونا فجأةً إلى بعيد

بزورة إلى قبورنا
هذا على ظهر جواده السماوي^س
يخوض في دمائنا
محتضناً درقته ، ممتشقاً حسامه
معلقاً في فمه
بقية ابتسامه^ه
وغارساً في فجوة الصدر
وساماً من حديد
وذلك الملائكي^ك الأصفر الخجول
يجيئنا منكس العينين في ذهول
ثم يعود دون أن يقول :
- لو أن كل ميِّت^س
يموت من جديد

فإنني وحيد

في زحمة الموتى أنا وحيد

* * *

يفجؤنا الموتى مساءً

حين يغسل السكون

السور والحديقة السوداء حولنا

وترقد الرياح فوق العشب والشجر

وفي الصباح ..

حين يسقط الوشاح

فجأة عن ابتسامة القمر

يعود موتانا

قوافلاً إلى ديارهم

* * *

يفجؤنا الموتى
ولكنّ المطر
يهبّ دائماً على آثارهم

* * *

يفجؤنا المطر
وهو يغطّي بيديه العشب والشجر
حتى كأنّ قدماً واحدةً
لم تتنقل لحظةً واحدةً
هنا ..

ولم تترك على الأرض أثر !

المخرطوم - ١٩٦٦

رجل وامرأة

شمسي في خطاي
ثم ابتلعت عواءها الجريح
واصطفق الباب وراءها ..
وهبت ريح
ومر ظلا رجل يجذب ساعد امرأه
وخيم الرماد فوق المدفاه

* * *

شمسي في خطاي
قالت ومضت

في كبرياء مَلِكِه
مهزومة مرتبكه
قاسية ومضحكه
تمقتني ..

لأنها تعلم أنها امرأه
وأني واحزني
قد طالما توّجني
جمالها الأليم

وردني
سحابةً ملء عيون وطني
تضحك للأطفال والنجوم

* * *

لكننا لا بأس بالهموم
الآن يا سيدتي وأبدا
لا بأس بالرّدى
حيث تحجر الأنين والصدى
على جوانب الطريق
وحيث يحدو دب ظهر عالمٍ عتيق
يوقد ناره سدى

* * *

عبر سماء مقلتيك
السحب والرياح واقفه
سفائن موشكة أن تقلعا
فلنختبىء ..
قبل سقوط العاصفه

كي لا تفاجئين بي محمداً
فيك .. أنا الجمال والقبح معا
ثقيلة مثل رخام القبر
هذي الأقنعة
ثقيلة وموجعه
مثل رخام القبر
مثل رياح العصر

الخرطوم - ١٩٦٧

ياقوت العرش

دنيا لا يملكها من يملكها
أغنى أهلها سادتها الفقراء
الخاسر من لم يأخذ منها
ما تعطيه على استحياء
والغافل من ظن الأشياء
هي الأشياء !

* * *

تاج السلطان القاتمُ تَفَّاحه
تتأرجح أعلى سارية السَّاحه
تاج الصوفي يضيء
على سجادة قشء
صدقني يا ياقوت العرش
أنَّ الموتى ليسوا هم
هاتيكَ الموتى
والراحة ليست
هاتيكَ الرَّاحه

* * *

عن أيِّ بحارِ العالم تسألني يا محبوبي
عن حوت
قدماء من صخرء

عيناه من ياقوت
عن سحبٍ من نيران
وجزائر من مرجان
عن ميتٍ يحمل جثته
ويهرول حيث يموت
لا تعجب يا ياقوت
الأعظم من قدر الانسان هو الانسان
القاضي يغزل شاربهُ لمغنيّة الحانه
وحكيم القرية مشنوق
والقردة تلهو في السوق
يا محبوبى ..
ذهب المضطرّ نحاس
قاضيكم مشدود في مقعد المسروق

يقضي ما بين الناس
ويجرّ عباءته كبراً في الجبّانه

* * *

لن تبصرنا بـمآقٍ غير مآقينا
لن تعرفنا

ما لم نجذبك فتعرفنا
وتكاشفنا

أدنى ما فينا قد يعلونا يا ياقوت
فكن الأدنى
تكن الأعلى فينا

* * *

وتجفّ مياه البحر
وتقطع هجرتها أسراب الطير

والغربال المثقوب على كتفك

وحزنك في عينيك

جبال

ومقادير

وأجيال

يا محبوبى لا تبكىنى

يكفىك ويكفىنى

فالحن الأكر لىس ىقال

الاسكندرية - ١٩٦٦

مقاطع فلسطينية

ليبقى كلُّ بطلٍ مكانه°
ولتُصعقُ الخيانة°
ولتخرُس الرجعية الجبانة°
فالشعب سوف يغسل الإهانة°

* * *

دوى نفير الثَّار°
يا جراحَ عشرين سنة°

نَجْمَةُ إِسْرَائِيلَ فَوْقَ الْمِئْذَنَةِ

فَمَنْ إِذْنِ يَا وَطَنِي !

يَنْهَضُ لِلصَّلَاةِ

بَيْنَمَا حَوَافِرُ الْيَهُودِ

تَدُوسُ سَقْفَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ..

وَحُوزَاتُ الْجُنُودِ

تُظْلِمُ الْمَطْرَانَ وَالْعَابِدَ وَالشَّمْسَ

وَتَسْجُنُ اسْمَ اللَّهِ

وَتَرْكُلُ الْقُدَّاسَ

وَمَنْ إِذْنِ يَا وَطَنِي !

يَغْمُضُ عَيْنَيْهِ عَلَى تَدْفُقِ الْأَجْرَاسِ

* * *

بِيرْقِكِ الْأَحْمَرِ مَا يَزَالُ يَا قَلْقِيلِيهِ

يخفق فوق جبل النار
ويعلو صامداً على رماد الأبنية
بخ.. بخ.. أيتها العروس
في جلوتها مخضوبة اليدين بالحناء
بخ.. بخ.. يا شهداء
وليبيك غيرنا على قتلاه مثلما يشاء
لتبك تل أبيب
صيفها الذي خيم حيناً والتهب
فقد تشققت حوائط السلاح والذهب
وانعقدت إرادة العرب !

* * *

من ذلك المشدود للحائط
مثل قلعة مسلحة

عيناه صخرتان في ساحلك العظيم
تصارعان الموج والرياح من قديم
يداه حارسان من رابية لرابية
نظرته فوق رؤوس قاتليه
ضحكةٌ مدويةٌ

شموخه جيش كثير الأوليه
من ذلك المشدود للحائط
مثل قلعة مسلحة

تقاوم الغزاة في إصرار
حتى إذا ضاق بها الحصار
وضرَّج الأفق دخانُ المذبحة
قاتلت القلعة من دار لدار

* * *

شوارعُ القدس الالهيه
تصفر في أرجائها الريح الرماديّه
وعطر راشيل اليهوديه
.. وتستحم الأرض بالدماء
حيث مشى الأنبياء

الخرطوم - ١٩٦٧

مقوط دبشليم

السقوط د. بشليم

قصيدة طويلة

« وإنك أيها الملك السعيد جده ..
الطالع كوكب سعدة ، قد ورثت أرضهم
وديارهم وأموالهم ، ومنازلهم التي كانت
عدتهم ، فأقمت فيما خولت من الملك ،
وورثت من الأموال والجنود . فلم تقم في
ذلك بحق ما يجب عليك ، بل طغيت ،
وبغيت ، وعتوت ، وعلوت على الرعية ،
وأسأت السيرة ، وعظمت منك البلية .. »

بيدبا الحكيم
(من كليلة ودمنة)

طلاة قبل الأقول

الريح في شوارع المدينة المائلة الشرفات°

تدحرج الطبول

والقمر القديم شاحب الرؤى

يحلم بالآفول

يا ريح ما الذي أقول

لو أنّ ذاك القمر القديم مات

ما الذي أقول ؟

ايقاعات قديمة

ومعانق الأجداث رغم تفسّخ الأجداث أعمى
يمشي إلى أقداره ، ويموت قبل الموت همّا
والضعف إنسان يرى في الماء صورته فيظنّها
وأحقُّ هذا الخلق إشفاقاً به ..
وأشدُّ وهماً
من ليس يعرف أنه مغمى عليه
وهو مغمى

الإفتتاحية

وقال بيدبا :

— اللصوص اقتحموا حواجز الميناء
وحطّموا سارية السفينه
وسرقوا كنوزها الثمينه
ولم يزل قبطانها يضرب في أزقة المدينه
يبحث عن منظاره القديم
.. تلك هي الرواية التي
أرى فصولها يا دبشليم

السكران

لا بأس فلنبتكِ قليلاً ربما طهرنا بالبكاء
نحن الذين اختنقت على شفاهنا إرادة الألم
نحن الذين لم تزل ترفُ فوقنا بيارق الندم
لا بأس أن نطاطيء الرؤوس بعض الوقت
وأن نلوذ ساعة بالصمت
فالنصر قد يكون في الهزيمة
والعدل في الجريمة

الرقيا

وغامت الآفاق فجأة ، وأظلم النهار
وأسقطت أوراقها الأشجار
ورقصت هياكل الأسماك في البحار
والتقت الوجوه بالوجوه
والأقدار بالأقدار
وأنكر ابنه أبوه .. ثم سار
مولولا .. ثم تيقظت ..

فقال بيدبا لدبشليم :
- المرء دائماً وما يختار

وحولك الحجب والحرأس بالآلاف

ثم تخاف !

أهذه خاتمة المطاف ؟

داخل السرين الملكي

— أخائفٌ أنت ؟

.. وهبٌ دبشليم مغضبا

وقال ييدبا :

— تنام يا مولاي مهموماً ، وتصحو متعبا

وآعجبا

تلبس تاجاً من ذهب

وجبةً من الحرير والقصب

الذين يجيئون ...

— هم يشبهون السيل

قال بيدبا الحكيم :

وكان وجه الملك الجليل دَبْشليم

ياقوتة ترجف في خاتمه القديم

— ودائماً كالعرق الذي على جباههم

يبتسمون

ويركضون

وَإِذْ يَشَاءُونَ يَشَاءُونَ وَيَقْدِرُونَ

وَدَائِمًا يَنْسَى الْمُلُوكُ

دَائِمًا يَهْوِي الصَّدَا عَلَى الصَّدَا

وَدَائِمًا يَجِيءُ سَيْلُهُمْ ..

لَأَنَّهُمْ لَا يَقِفُونَ أَبَدًا

يا دبشليم الحقُّ صوت الله
وَكَلِمَةُ الحق هي الحياه
فلا تضق ذرعاً
إذا تحركت بها الشفاه

هزار ...

تقولُ لي يا دَبْشليمُ

وابتسامة الغضب

تنصّب ما بيني وما بينك

جسراً من لُهب

— أطبق فمك

حكمة هذا العصر أن تطبق عينيكَ

طويلاً وفمك

المعركة ...

أرضكَ ظمأى ..
والخريف شح هذا العام
والمتسولون يزحفون ، والأقزام
يعربدون في حطام المملكة
يا ملكاً متوجاً على حطام
يا قائداً بغير معركة
هذا أوان المعركة

قصيدة الشاعر القديم

لولا حيائي منك ، لولا خشيتي
لقلت لك :

السمُّ في كأسك ، والخِنْجَر في العباءة
يا أيها الجالس خلف الحجرة المضاءة

على جلالك السلامُ

.. وأوما الأمير للسياف : يا غلام

أطِـح برأسه ..

وضاعَ الصوتُ في الزَّحامِ

* * *

وآعجباً يا سيدي

كأنما أغوصُ في حلمٍ من الأحلامِ
فإنني كنت نصحت منذ ألفِ عامِ
متوجَّاً مثلكَ

— ما أعدله وأعدلك ! —

لكنه ازدرى نصيحتي

ازدراني ..

وبقيت ..

بينما هلك ..

العميان والجريمة

وقال بيدبا :

— المهرجون يضحكون والجمثة فوق المشنقه^٥
كراية قديمة معلقة^٥

والشمس يكسوها المشيب في السما

يا دبشليم ربما

نفتح^٥ العيون مبصرين بينما

قد شبع^٥ أغوارها عمى !

السقوط

وقال بيدبا :

— سألتني عن السقوط مرّةً .
فإن تكن لا زلتَ مصغياً إليَّ
أيها الملك

ها أنذا أقول لك

— يسقط بعضهم
لأنه يرى ولا يرى

ويسقط البعض ..
لأنه يسير القهقري
وشرُّ أنواع السقوط مَرَضًا
هو السقوط في الرُّضَا

ايقاعات حديثة

أسامعي يا ديشليم ؟
الفجر مثقوب الوشاح وابتسامة الشَّفَق
مصفرةٌ .. ونحن والغيوم شاهدان
تحت قُبَّة الأفق

أسامعي ؟
أكاد أن أشمَّ نفس الرائحة
أكاد أن ألمس باليدين وجه البارحة

كتابة منسية

أعلم أن الموت حق ، والحياة باطله
والمرء لا يعيش مهملًا عاش إلا ليموت
وكل صرخة مصبّ نهرها السكوت
وأروع النجوم هاتيك التي
تضيء درب القافله
حين يغطّي العشب ذكرياتنا
وتشرق المأساة في البيوت

السؤال والإجابة

بأي سيفٍ أقهر الطغيان ؟
قال بيدبا :

— بسيف الضعفاء كلهم
— بأي نار أُحرقُ الأكفان ؟
قال بيدبا :

— بنار فقرهم .. وذللهم°
— بأي شيء أصنع الإنسان ؟

المخاض

في الأرض ثورةٌ ، وفي السماء
ثورة يا دبلشليم
الأرض تطحن النجوم
والريح تمضغ الغيوم
فكيف تستعذب نوم العين
وأنت بينَ بين !

قال بيدبا :

— تصنعه إذا سقطت واقفاً من أجلهم° .

قاع المدينة

وقال دبشليم يا حكيم :
— حدثني عن ماء يلوح راكضاً وهو أسين°
وعن شعاع في منازل النجوم يحتقن°
فغاب بيدبا هنيهةً .. وقال :
— إنما هم الرجال حين يأسنون
يأسن° حتى النور
والحب والسرور

وقال بيدبا :

— وقوَّةُ الحَيَاةِ أَنَّهَا تَرْفُضُ

إِلَّا أَنْ تَكُونَ

أُغْنِيَةً فِي قَلْبِ فَنَّانٍ

وَأَطْفَالٍ سَيَكْبُرُونَ

أصواتهم ...

في مجدِكَ العَالي الذي ساقتهُ
دنياك إِلَيْكَ

أطِيلَ لحظةً ، فقد أتوا يُطلّون
عليك

— ها أنتذا تسقطُ بين العقولِ
والجنونِ

كثَلِهِم سَخِرَتَ من عذابنا

كَيْثْلَهُمْ غَدَوْتَ صَخْرَةً وَنَحْنُ سَائِرُونَ
كَيْثْلَهُمْ نَسِيتَ يَا مَلِيكَنَا
أَنْكَ مَيِّتٌ وَنَحْنُ خَالِدُونَ
فِي مَجْدِكَ الْعَالِيِّ الَّذِي تَمَلَّأَ وَجْهُهُ
الْغُضُونُ
أَتَوْا يَغْنُتُونَ بِلَا شَوْقٍ وَيَرْقُصُونَ

حفار القبور

.. وعُضَّ حَفَّارُ الْقُبُورِ شَفْتَيْهِ

حَسْرَةً وَضَجْرًا

وَهُوَ يَقْلَبُ الْعَيُونَ فِي تَجَاوِيفِ الثَّرَى

— وَيَوْمَ أَنْ أَمُوتَ

مَنْ تُرَى يَشْمُ جَسَدِي

وَمَنْ يَكُونُ شَاهِدِي

غَدًا .. إِذَا مَا النَّاسُ مَاتُوا

والغراب مات

وأضيعتي من أجليهم
أنا الشقي آخر الأحياء والأموات

الدرويش

وبصقَ الدَّرويش في جَبَّتِه وقال :
– وحين أغلقنا عليه خَشَبَ التَّابوتِ

كان يقول الله ربي
الله حي لا يموت

كان يحب الله .. كان يتَّقِيه

في نفسه .. وفي ذويه

وكان يخشاه .. ويستحييه

مولايَ ..

لو أنك أبصرت جلال الله
لسارت الجبال من خلفك والمياه .

حجر في الطريق

قهقهةٌ يا دبشليم ؟ أم عويل
امرأةٍ تعانق ابنها القتييل
تلمس عينيه طويلاً وفمه
تشم شعره .. تهزُّ معصمه
ثم تصيحُ معتمه
— يا ولدي قل كلمه
.. ويضمحل وجهها

عَبْرَ تَوْهَجِ الذَّهُولِ
وَيَتَلَوَى شَجَرَ النَّخِيلِ
مَحْتَضِراً ..

وَتَغْرُقُ ابْتِسَامَةَ الْأَصِيلِ
فِي عَمَقِ نَهْرِ النَّيْلِ

البومة والطاوس

وقالت البومة للطاوس :

- لولا صورتي الكريهة الدميمة

ما كنتَ تمشي الخيلاء معجباً

بريشك الجميل

فايتبسم الطاوس ضاحكاً وقال :

- صدقت يا سيدتي الحكيمه

فكبرياء الكبر تعني قمة الذلة في الذليل

وكثرة الكثير ، قلة القليل

الإنسان والحقيقة

أكتبُ عن عصرِك كيف انطفأتُ ..
روعته وكيف

تعرجُ ساقاه ، وتهرمانِ
كل لحظة تحت ثلوج الزَّيف
أكتبُ عن عصرِك ..

قال بيدبا ، والسيف يبكي في عناق السيف
- وباطلُ عصرِك ، ناره سجيئةٌ

وشمسہ غریقہ

والشعر وحده هو الإنسان والحقيقة

خلود !

لا الحزن 'يجديكَ' ، ولا الحلم ، ولا التمني
لا رقصة المهرج الأعمى

ولا تهافت المغنّي
أقفرت الحياة في جنبيكَ

واستغلقت الأشياء
فابقَ طويلاً مثلما تشاء

لو كان يحلو في سرير ميّتٍ طول البقاء

الديننا صور!

أكتب عن عصرِكَ ..

عصر الغضب الميت ، عصر الضحك المتهور

عصرِكَ يا مولاي

حيث تركض الخيول في القمام

وتسكن الغربان في العمام

حيث يهب فجأة من ظلمة العصور

الديننا صور

آخر المهزلة

أكتب عن عصرك
أبني لك في شعري قبراً من ذهب
ترقد يا مولاي من أفراحه في مهرجان
تصبح فرعون الذي كان وكان ..
ومثما جاء ذهب
إلا بقايا حنطة
ومومياء ملك
وظل صولجان !

الغثيان

تَباً لعصر تمطر السماء فيه

— قال بيدبا لدبشليم —

جرذاناً وأغربه

وتلد الرجالُ فيه

ويعانون من الحَيْض

ويلتقي النقيض بالنقيض

وتستمد القُب المذهب

طلاءها اللماع
من أعين الجياع

أشباح جمهولة

أغلقت الحانة أبوابها
واحدودب الساقى ، ومات النديم
فاجترّ أحزانك يا دبشليم
قطبتنا السوداءُ قد أسقطت
أبناءها أمس
وكلب الحكيم
ظل طوال الليل مستيقظاً
ينبح شيئاً غامضاً في النجوم

المشهد الأخير

ليلٌ مدرايٌّ ، وظل قمرٍ ينهارُ
والملكُ الغارق في الرموز والأسرارُ
منطرح على سرير ملكه ، والدم والنضار
يخضبان ردهات القصر ، والثوار
ذوو الشعور البيض ير كضون فوق السور
وفجأة يا دبشليم يسقط الستار
ويبصق الجمهور

البطل والثورة والمشنقة

البطل والثورة والمثنية

الآن يا شيخني نحن اثنان

أنت وأنا

يا ويلتنا . . أغلقت الريح الدروب خلفنا

وانقسم الانسان شطرين

كما لم يشأ الانسان !

محمد الفيتوري

يوميّات رجل مقتول

عربات الموتى المذهبة الصفراء
تدوس على قلبي المخضوضر .
تغرس فيه حوافرها
ذات الوهج السوداء
والقتلى يبتهلون بأوجهم ..
يكون
تصفق أيديهم

اعتذار

وقال بيدبا لدبشليم :
- يا مولاي معذره
لكل ما تحجبه الستائر المعطره
وكل من يحمل بين راحتيه مبخره
معذرة .. وألف ألف معذره
للنصب الأنيق فوق المقبره
فالموت كان الفجر
والطريق كانت مقفره !

يتحشرج فيهم شيء ..

تهبط عاصفة ..

تتساقط فوق مراياهم رمل الصحراء

– القاتل أنت

– القاتل نحن

– القاتل من ؟

لا ترفع سوطك في وجهي ..

سأشير إليك ..

سأرفع مطرقتي ..

كفي المدفونة تحت ثرى سيناء

أسمعني ! سأشير إليك

فانت .. وأنت ..

أنزع هذا الدرع الذهبي ..

أخلع هذا الوجه الخشبي
تخطم عصفا كالتمثال ..
تجرد من وهج الأشياء

* * *

الآن أحرق في عينيك
أنا المقتول
أعلق راياتي المهزومة
فوق مدائنك الخرساء !

الله يا شيخني انا

- ١ -

.. وسقط الحزن على حديقتي .. وسقط
التراب

أسود يا شيخني ، مثقوب المرايا
سقط الحزن الذي تعرفه ..
وسقط التراب
وسرت يا شيخني ..

عيناى سحابتان .. نجمتان من رخام
طفلان ضائعان ، يركضان
عبر ردهات الريح والظلام
قيدانِ فى وجهى ..
يقيّداننى إليك
ويغرساننى شجيرةً حزينةً عليك

- ٢ -

الآن يا شيخى نحن اثنان
أنت وأنا
يا ويلتا .. أغلقت الريح الدروب خلفنا
وانقسم الانسان شطرين ..
كما لم يشأ الانسان

الموت ليس الموت ..
والحياة ليست الحياة ..
والزمان ، والمكان ، والانسان

- ٣ -

تضحك يا شيخني ..
مسكين أنا بعدك
أرضي مومياوات ، وآفاقي ثقوب
تضحك يا شيخني ..
على جريمة الصالب أم براءة المصلوب
تضحك يا شيخني ..
تُرى لأن الحب ذات ليلة
مزق بعض ثوبه ، في حضرة المحبوب

الله يا شيخى أنا
حين تعانقنا عناق الموت
كانت رايتك
خضراء .. والنور قباب
والدفوف أجنحه
والفقراء إخوتك
يقتحمون اللهب الأحمر فرسانا
فينهار رمادا تحتهم ، وهم وقوف
الفقراء حاملو السيوف
إخوتك ..
كانوا إذا المعركة اشتاقت سيوفها
هم الدروع والسيوف !

الله يا شيخى أنا
لبيرق يشرقُ في عينيك مصفراً
وإبريق نحاسيٍّ قديم
تنبض في صفحته الآيات والرسوم

القاهرة ١ / ٤ / ١٩٦٩

موت الملك سليمان

- ١ -

لو أن هذا الجسد الملقى على كرسيه
مال قليلا

لاستيقظت من نومها مدينة النحاس
واستغرق الحراس
في البكاء والضحك

فزائر الموت الذي زار سليمان الملك
كان ثقيلا

وسليمان الملك
مات طويلا !

- ٢ -

خمسون ألف مارد
يانتظرون الأذن بالمشول
تسعون ألف حارس
يرقب عرس الشمس في زهول
والشمس في معارج اكتمالها محتجبه
تغسل جدران المدافن المذهبه
وعرس بلقيس الجميلة المعذبه
والمدن الكبرى التي
تسقط تحت عجلات المركبه

— يا دورة الزمان ، يا أيقونة المكان
ما أقبحنا جميعنا ، وأجملك
وما أشد نقصنا ، وأكملك
وأفضلك
وأنبلك
وأعدلك !

— ٣ —

— يا امرأة ! الطفل لمن ؟

— بعض دمي

وأنتِ ؟

لو كان هذا الشدي فم
لساد صوت العدل

واستغلق منطق الحكم

— ما دمتما واثقتين ..

اقتسما الطفل إذن !

— يا سيدي .. هل قلت ؟

ماذا قلت ؟ هل حقيقة أنت ترى

جبينه نصفين

وقلبه نصفين

— يا سيدي رحماك ..

ثم انطفأت في الأفق

شمس الملك الحكيم مرتين !

— ٤ —

ينحلم حتى يسمع النجوم

وربما مضى بعيداً .. وهو باقٍ بيننا

لجهلنا نحسبه روحاً سجيناً مثلنا

لشدَّ ما تمسخنا الهموم

لشدَّ ما يمسحنا النسيان

والنسيان عادة

والموت عادة

.. وناح آصفُ ، وغاصتُ

دودة في عرشها

وقفزت جراده

وسقطتُ جراده

وانفجرت دويبة الأرض من الضحك

حين تهالكت فجاءةً عصا المليكُ

* * *

أكان مجنوناً ؟

أكان عاقلاً ؟

أكان قديساً ؟

أكان قاتلاً ؟

القاهرة : ٣ - ٢ - ١٩٦٩

ورقة على سطح القمر

وهبطتُ .. لم أهبط على أرض ..
هبطت على فضاء
ومضى يعانقني ..
ويجيش فيّ ، شيء كالبكاء
الذكريات تشدني يا أرض نحوك ..
أين سيدك الذي
جفت على شفتيه آثار الدماء

الآن صوت الخوف أعمقُ

غربة الانسان أعمق

من يناديني ؟

اقترب

لا شيء ثمة ..

تولد الأشياء كي تتحلل الأشياء

إني جئت ..

أعشاب المزارات القديمة في دمي ..

كانت هنا دنيا أكاد أرى معالمها ..

المدائن .. والمدافن ..

والموانئ والبحار ..

الناس في الأسواق ما زالوا

الخطى المتقاطعات ..

الباعة المتجولون

ذوو الزجاجات السميكة ..

يثقبون الأفق بالكلمات

ثم يحدقون ، ويشهقون

« العدل ثوب طالما أبلته

أجساد القضاء »

ويرصد العراف نجم الطفل

والشحاذة الكسلى تعد نقودها ..

ويطل من خلف المغارات

اللصوص الملتحون ..

حضارةٌ ثم اضمحلت ..

طالما عاشوا .. استباحوا ..

ضاجعوا .. عشقوا .. استراحوا ..

أحرقوا .. احترقوا ..

تساقطت التواريخ ..

التوابيت المذهبة ..

الرسوم .. الزهرة ..

القوس .. الشعار ..

هم فوق ما تتمثل الرؤيا

وما تحكي فجیعة الانتظار !

* * *

سأسیر وحدي

مات سحر الساحر الوثنی ..

كان الساحر الوثنی یوقد ناره ..

فی كل أمسية ، وكان

یصفف الأزهار فوق موائد الشعراء

والموتى ..

وكان يتوج العشاق

ثم يشيح مفتوناً

بروعته عن العشاق

* * *

سوف أسير وحدي

ماتت اللغة التي عبقت بها الأفواه

يا باب الغد القمري ..

إني جئت باسم الشعر ..

باسم الحب ..

باسم الله ..

القاهرة ١٢ - ٣ - ١٩٦٩

الهياكل

.. وكانت الهياكل العتيقة المقوسة

ذات العيون الغائرات الشرسة

والضحكات التعسة

واقفة في الريح

تلقني على التاريخ ظلها القبيح

* * *

١
- ميتة أنت فموتي

هكذا صحت بها .. فابتسمت°
وغمغمت°

- لا تسرق أقنعة الأحياء..

لا تبتسمي

تجهمي .. تحطمي

فحدقت .. وشهقت ...

واستغرقت في حامها الكسيح ..

كأنما أسكرها الشناء والمديح

* * *

- أحرى بكِ المعول والحفار والضريح

موتي .. اخجلي

تساقطي .. تحلي

إنك عاري ..

عار أرضي ..

أمتي .. مستقبلي ..

عار على من يحرث الحقل ..

ومن يحصده ..

أن يضفر الصوت لمن يجلده

عار على من يحفر اللحد ومن يلحده

أن يقتني طاغية يعبد

* * *

لكننا الهياكل الخرساء لم تُجب

وبرقت مثل النجوم الأوسمة

على الصدور المظلمه ..
وبرق الذهب
وأجهش التعب
وقهقه العذاب والغضب
— عار على الرجال
عار على الأجيال
عار على كل البشر
أن تظلمي يا ليبيا ..
و ثم إنسان على ظهر القمر !

* * *

وفجأة توهج الحزن الذي عاش سنيننا
فإذا الحزن حريق ..

يركض في مضيق

يلتهم الأوثان

والموتى الذين نصبوا الأوثان في الطريق

طرابلس - ليبيا : ١ - ٩ - ١٩٦٩

الجنة

من صاحب الجنة ملقاة
على قارعة الطريق ؟
تدوسها العيون والهجير والنعال
من يعرفه ؟
إني أكاد أعرفه
لكنه ليس هو الخائن
فالخائن حي ..

والحريق

ما زال في اشتعال !

١٩٧٠ - ٤ - ٧

المقتول يدفع الثمن

- ١ -

بطيئة عقارب الساعة
أفواه الشهود .. أصوات القضاء
بطيئة .. باردة الجبين والشفاه
الكلمة ، الانسان والإله

- ٢ -

لو أن عيسى عاد

لكان غطاها بثوبه
ولو أن محمداً ..
لسل سيفه مهاجراً لربه
وآه لو رأى الحسين مرة
محرابها المفجوع
لجاءها مستشهداً ..
وفي يديه رأسه المقطوع

- ٣ -

صه .. صه
كأنما أسمعها كأنما تئن
أقسم يا سيدتي القتيلة
العارية البدن
لست أنا القاتل ..

لا وجهي .. ولا صوتي ..
لست قاضي المدينة الكبرى
ولا شاهدها العادل
أنا الذي أموت مقتولا
على بابك كل مرة
حين يجيء السادة القراصنة
على سفينة غريبة ..
فيفسقون في كنيسة ..
أو يهدمون مئذنه
أنا الذي قتلت في سيناء والقدس
ولم أزل هناك أنتظر
أنعس في ضوء الفوانيس ..
وأصحو في الرياح والمطر

أنظر في بطءٍ إلى عيون قاتليّ
ساخراً وأنتظر ..

وربما اخضوضرت خلف ورق الشجر
وربما حلمت أن ذلك الحلم
الذي سوف يجيء
قد جاء ..

فاسترجعت ذاتي ..
ورفعتُ نحوهم سبابتي متهما ..
وفجأة يبطن بي الحلم ..
فأرخي إصبعي ..

أحك ذقني خائفاً مستسلماً
أهز منكبي حائراً أو نادماً
أعود مسكيناً ، مهرجاً ، أو صنماً

- ٤ -

بطيئة أيتها السيدة الفخمة
تهبطين ضوءاً أسوداً في الساحة الحمراء
في البيوت ، في العيون
كل امرئ يحمل فوق راحتيه وطنه
أو كفنه
فالغد يا سيدة الرهبة والسكون
قد لا يكون !

- ٥ -

حين يسودُ الرعب والوهن
ويبطئ الشهود والقضاة والزمن

ينفلت القاتل ..
والمقتول يدفع الثمن !

١٥ - ٢ - ١٩٦٩

القمر والحديقة

كان قلب الحديقة يركض
مختبئاً في الظلام
والحديقة أرخت ستائرهما كي تنام
وتدلى القمر
ذلك العاشق الملكي محبُ السهر
ومضى يتسلق سور الحديقة
كان نصف إله ، ونصف بشر

كان كل العذاب ، وكل القدر
.. وأطلت عليه عيون الحديقه
عارياً داهمتُه عيون الحديقه
- يا قمر

عارياً يا قمر
أعمق الحزن حزن الحقيقه

* * *

واستحال القمر
حجراً ميتاً تحت سور الحديقه

الخراطوم - ١٤ - ٥ - ١٩٦٨

وثيقة من العالم الآخر

ها نحن تقابلنا .. لم تمتدّ الأيدي ..

لم تبتلّ الأجفان

لم تنسج فينا الغربة شيئاً ..

يا من ليس لك اسم ..

إلا تلك الأشباح ، الأقنعة ، الجدران

في أرض مدينتنا ، في كل مكان

تولد طفلاً مجهولاً ، حوذاً ، قديساً ،
بطلاً ..

تغدو وجهاً مقتولا ، نعشاً محمولا
ريحاً ، جبلاً

— من أنت

— تسألني من أنت

— كأنك لم تقتلني بعد

— كاني لم أقتلك

— بلى

في أرض مدينتنا ..

في منتصف الليل الممتد على الصحراء

وغاصت أقدام الموتى في الرمل،

وحوم طير طقسي،

وتداخلت الأرقام ، الأيام ، الأسماء
وتساقط ليل ..

* * *

– أخلع هذا الجلد الميت
– لا وجهك ، لا شفتاك الكاذبتان ،
ولا العينان ..
لكن الخنجر في كفيك ..
الخنجر في عينيك ..
المقبض من ذهب ، والنصل حريري ..
والخوف ، الضعف يدان

* * *

هذا هو خنجرك الدامي أوتنكره

مخبوء في طيات ردائك ، هل تتذكره ؟

* * *

كانت أرض تبكي ..
تنهار بيارقها وحدائقها ..
وطريق شتوي بارد
ونساء عارية ترتد حقائقها ..
ورجال مجهولون
وضوء من نجم صاعد
والأفق تماثيل ودمى
وقُتلتُ على عينيك أنا الشاهد
- لِمَ عدتَ -

* * *

— القاتل مقتول قبلي

— لم تُمتَّ

الشاهد مسئول مثلي

١٧ - ٢ - ١٩٦٩

اغنية جوفاء !

نحن العرب ..
أجدادنا كانوا ملوك العالم القديم
حيث الرؤى والشعر يسبحان
في مجدهما الأليم
حيث الخطى المستكبرات ..
لم تزل تبتعث الرعشة ..
في أقبية الماضي العظيم

* * *

نحن العرب ..

عنتره العبسي فوق صهوة الفرس
يصرخ في الشمس فيعلو الاصفرار وجرها
وترجف الجبال رهبة ، وتجمد السحب
لأنه قهقه أو غضب
لأنه ثرثر أو خطب
لأنه النار التي
تفرخ ذرات الرماد والخطب !

* * *

نحن العرب

المعجزات والنبليون وأرباب البيان
منا ..

ولولانا لهانت عبقرية الزمان

تاريخنا العملاق ما أروعَه وأعجبه
ووجدنا في الحلبة
وإن أردتم فاسألوا
الأحساب .. والألقاب ..
والأضرحة المذهبه !

١٩٧٠ - ٣ - ٥

الى الأخطك الصغير

قف خشوعاً .. واخفض الرأس
فقد أشعل الموتى القناديل
وقاموا ..

والذي تبصره عيناك
في ذلك الضوء الرمادي زحام
والذي يسقط من أقدامهم
هيكل رث البقايا وحطام

عادت المعجزة الكبرى ..

فلموت رغم الموت – بدء وختام

فتعلم كيف تحيي أمة

نسيت أن البطولات اقتحام

أن أرض الحر مهما اغتربت أرضه

فهي على الغير حرام

أن تاريخاً مشت في ظله

قدم الطغيان تاريخ مضام

يا أمير الشعر أغضبها ..

فقد تخلص الروح ، وتخلص العظام

ولقد ينفذ عنه كفن الصبر

شعب ثاره ليس ينام

ولقد يستل يوماً سيفه

ذلك العدل الجريح .. الانتقامُ

* * *

أمةٌ يثقب من رايتها
كلما امتدت على الأفق انقسام
وحزيران على أبوابها
لعنةٌ تغلي ، وعارٌ ، واتهامُ
بعثروها .. مزقوا وحدتها
فهي سودان ، ومصر ، وشام
ونسوا أن النواقيس غداً
تتنادى ، والموازين تقام
ونسوا أن الضحايا أبداً
نارها فوق الملايينِ ضرام

* * *

أنت في لبنان ..
والشعر له في رُبي لبنان عرشٌ ومُقام
شاده الأخطل قصرأً عاليأً
يزلق الضوء عليه والغمامُ
وتبيت الشمس في ذروته
كلما داعب عينيها المنامُ

* * *

أنت في لبنان ..
والخلد هنا ..
والرجال العبقريون أقاموا ..
حملوا الكون على أكتافهم
ورعوا غربته وهو غلامُ
غرسوا الحبَّ .. فلما أثمر الحبُّ ..

أهدوه إلى الناس وهاموا ..
غرباءً .. ومغنين ..
وأحلى أغانيهم على الأرض السلامُ

* * *

أنت في لبنان ..
والجرح كما كان يا لبنان ..
والنار ضرامُ ..
وفلسطين التي كانت لنا
سورةً تُتلى ، وقدّاساً يقامُ
وشيوخاً تذكر الله ..
فملء المحارب صلاة وصيامُ
ونبيين صفت أرواحهم
فلياليهم سجد وقيامُ

كان بيت الله قديماً بهم
قبل أن يأتي على القدس الظلام
وأثوا .. يا كبرياء انتفضي ..
وانتقم يا جرح .. واغضب يا حسام
قل لهم ان صلاح الدين قد عاد
والمهدي والأنصار قاموا
وصحبا الموتى الفدائيون ..
فالأفق الشرقي نارٌ وقتامٌ
قل لهم عودوا إلى هجرتكم
ففلسطين هي الأرض الحرام
قل لهم ان المدى متسعٌ
بيننا .. والحرب دين والتزامٌ
فاقيموا كيف شئتم

إنما نحن أو أنتم عليها يا لثام

* * *

يا أمير الشعر ..

والشعر رؤى نبوياتٌ عليهن لثامٌ

واقفٌ منك أنا في حضرةٍ

هي كالبحر اصطخابٌ وارتطام

كلما جئت كستني رهبةٌ

فأنا صمت خجول .. واحتشام

أدنوٌ منك .. والدرب ازدحامٌ

وتناءٍ عنك .. والشوق التحامٌ

* * *

مثلنا السفن الغريبات ..

إذا الريح جدران على الأفق ضخامٌ

وتصايحنا ..

ولكن الرؤى انطفأت
وانهار في الصمت الكلامُ

بيروت ٢٥ / ١٢ / ١٩٦٩

الرجل الذي ظهره للحائط

- ١ -

من أجل من أموت ؟
قالها .. وحشرج العذاب صوته ..
ومات في عينيه حقل من سنابل
كان كمن يستل خنجرا
على جثة قاتل
من أجل من ؟

أعانق النار قتيلاً .. وأقاتل
أنا الذي لا أرض ، لا وطن
لا وجه ، لا زمن
لا مجد ، لا ثمن
من أجل من ؟

- ٢ -

تبصق في عيني عيناك ..
أنا الهارب ..
حدق فيهما كما تشاء
قل انني 'جبنت'
قل انني ضعفت
أبكِ على أني ولدت

أرفع يديك راعش اليدين للسماء
هيهات لو فتشت في روعي ..
في دمي ..
فلن تلقى سوى الرفض والازدراء

- ٣ -

أمقتكم جميعكم ..
لا تتوسل عبثاً .. لا تبتسم ..
ضحكتك الجرباء ..
لا تملؤني إلا احتقاراً لك
صخرة أنا فلا تنادي
إني أدينكم جميعاً أيها المهرجون
لست أستثني ..

فباسم مجدم كسا الحداد أمتي ..
وفي غبار خيلكم ضاعت بلادي !

- ٤ -

ذات صباح فتحت أيديكم البابَ لهُ
ثم تساقطت وجوهكم
بجوراً حوله
ثم لعقتم يده ونعله
ثم .. صفتم خشب الجسر الذي استقله
ثم غدوتم العدو
بعضه وكله ..

والآن ماذا ؟

القاتل الأعمى يغطي يديه

جسد الجريمة

والرخ يبني عشه ثانيه

في حائط الهزيمة

سئمت وجه الرخ ..

والقاتل .. والمهزلة القديمه !

سئمت ..

هذا الصمت لن يجدي

والحزن لن يجدي

والشعر لن يجدي

أصبحت كالأعصار أعدو
راقصاً وحدي

- ٦ -

قضيتي وحدي
والنار من بعدي

١٩٦٧ / ١٢ / ١

قنديلٌ في الضباب

مشهد تمثيلي قصير

(تلة رملية ، مطلة على حدود
الأرض المغتصبة .. يظهر من ورائها
عجوز فلسطيني وآخرون .. يتقدمون
تجاه التلة ، المعجوز يمد ذراعين
مرتعشتين ، بينما يشير إلى رفاقه
ناحية الحدود .. الوقت فجر)

المعجوز : مدينة التاريخ لاحت من بعيد
موحشة القباب

مغلقة الأبواب
قد أطفأت قنديلهما الوحيد

الآخرون : من قال إنه انطفأ
لم ينطفئ
ها هو ذا هناك شامخ
يطارد الظلام والضباب والصدأ

المعجوز : عيناى كهلتان
كمثل عيني وطنى الحزين كهلتان
يا ويلتاه
كأننا من قبل لم نكن

مغذرة

هل نحن أم زماننا أسن

الآخرون : يا أبتاه ..

ليس يأسن الزمن

بل، يأسن الرجال

العجوز : كان عالماً من الظلال

أقام عالماً من الظلال

أقام بعض الوقت ثم زال

كان غيماً شفقاً ..

خضب الأفق قليلاً وانمحي

كان حالماً ثم صحا

وما الذي ترون خلف هذه
الرمال ؟

الآخرون : تلك الحقائق التي تعرفها قد
قد أثر النخيل فيها ..
وزها الزيتون

المعجوز : كانت لنا ثم غدت لغيرنا
وفي الغد القادم قد لا تذكرون
إن غرستها بكفّي ..
سقيتها بأدمعي .. بعرق
بضوء عينيّه
انظروا ثانية

الآخرون : نفس الدروب المتقاطعات
نفس الزخرف القديم

نفس الأبنية

لكننا الأوجه غير الأوجه

التي عهدتها ..

والصوت غير الصوت ..

والراية غير الراية التي نسجتها

المعجوز : الراية .. والوجوه

واللصوص القادمون

وشجر الليمون

كان بلا أنين

كان يغني للنجوم والمطر

كان سلال زنبق ، وباقات زهر

واليوم لوثوه ..

لوثوا شفاهه .. وآحزني

أية لعنة تجر ظلها الكريه

فوق وطني

الآخرون : لا تكتئب يا أبتاه

فلم تمت فينا إرادة الحياه

العجوز : كانت هنا ديارنا

الآخرون : ولم تزل ديارنا

رغم عذاب النفي ..

لم تزل ديارنا

وتلك بياراتنا

أشجار برتقالنا

ليموننا ، نخيلنا

تاريخنا ، قبورنا

العجوز : يا ويلتا .. يا ويلتا

الآخرون : موعد ثأرنا أتى
المجوز : إذن لنسرع الخطى
لنسرع الخطى
(.طلقات رصاص)

الجميع : الرصاص
طلقات رصاص
الغاضبون يطلقون
في ديارنا الرصاص
أحرقوا بيوتنا
وسرقوا حقولنا
واختبأوا خلف كرومنا
وشيدوا الأبراج والقصور
اختبأوا خلف القباب البيض

والزهور

تراب أرضنا يشدنا إليه

المجدل الجليل خلف نارهم

يهز راحتيه

يافا الجميلة إرفعي رأسك عاليا

ولا تنكسيه

لا تخفضيه .. لا تخفضيه

أبناءؤك المقدسون قادمون

فلتغَطِ الأفق طلقات الرصاص

هذا هو القصاص

لا خلاص

للغاصب المحتل

لا خلاص

فليتكلم الرصاص

للقاصب المحتل

لا خلاص

لا خلاص

(ستار)

١٩٦٣ / ٧ / ٢٠

العودة الى ارض الغربية

تحلم بالنار القناديلُ

وتحلم المعاول

برجفة الحقل ، وشهقة السنابلُ

وتحلم الصحراء ذات القمر المشنوق
بالقوافلُ

والجبل المهجورُ بالزلازلُ

وتحلم البحارةُ الغرقى ..

بأضواء المنارات ..
وأعشاب السواحل
وتحلم المقاضل
بالموت ، والقناع ..
مصلوباً على الأبواب والمداخل

* * *

وتحلم البنادق
بالدفء في أيدي الجنود ..
والدجى الصَّخريُّ بالحرائق
وتحلم الحبال والمشانق
والأفق القديم .. والدفوف ..
والبيارق ..
بأوجه الخطاه

والمهرجين .. والطغاه

والملوئين .. الخونه

ذوي الشفاه النتنه

مطاطئين

معلقين

في سقوف الأزمنه

* * *

أحلم .. ثم أنفض الدهشة

عن عيني ..

أستغرق في شعبي ..

من يوقظني ؟

من الذي يدق سجني ؟

من يهزني ؟

يخلع بوابة تاريخي ..

يضيئي

يخلقني

ينثرني حبة رمل في جبال وطني

يكتبني حرفاً صغيراً

في نضال وطني !

* * *

أحلم أنني لقيتهُ

وأنا تعانقنا معاً

وإنتي غفوت في قصر

النحاس الخشن

هنيئةً على ذراع وطني

وأنني ..

وأنتي ..
يا أيها العائد من غربته
يا وطني !

١٩٦٩ / ٦ / ١

القادم عند الفجر

الآن . وأنت مسجى ..

أنت العاصفة . الرؤيا . التاريخ . الأوسمة .
الرايات ..

الآن ، وأنت تنام عميقاً تسكن في جنبك الثورة ،
ترتد الخطوات ..

تعود الخيل . مطأطئة من رحلتها . مغرورة
النظرات

الآن يقيم الموت سرادقه العالي ..
يتدفق كالأمطار على كل الساحات ..
الآن يكون الحزن عليك عظيماً .. والمأساة ..
تدوس على جثث الكلمات ..

* * *

الآن وهم سيكون كأن ملايين الأرحام ..
ولدتك ..
وإنك عشت ملايين الأعوام ..
وكان اسم البطل المنحوت على حجر الأهرام ..
اسمك ..
وكان يد العربي الأول ، تشعل كل مآذن مكة ..
في ليل الصحراء .. يدك ..

وكانك كنت تقا تل تحت لواء محمد .. في مجد
الاسلام ..

وليلة ان سقطت خيبر ..
قبلت جبين عليّ مبتسما ..
ورحلت غريباً تحملك الأيام ..
لتبصر ظل جوادك عبر مواني بحر الروم ..
وتبني اهرامات أمية فوق جبال الشام ..

* * *

و حين تجيء سحابة هولاكو التتري ..
وتزحف أذرعة التنين ..
وتنهار الأشياء جميعاً ..
تولد ثانية في عصر صلاح الدين ..

* * *

لكأنك - ملفوفاً بوشاح بلادك -

أتِ توأ من حطين ..

و كأنك قد أرهقت، فنمت .. لتصحو بعد سنين ..

* * *

عبد الناصر ..

عبد الناصر ..

أيدي الفقراء على ناقوس الثورة .. والفقراء ..

غرباء ومظلومين ..

زحموا الباب العالي، ومشوا فوق البسط الحمراء ..

وخديوي مصر يطأطئ هامته ، بعد الخيلاء ..

أو أنت عرابي الواقف ، تحت الراية ..

ذو الصوت الأمر ..

أو أنت الزاية يا عبد الناصر ..

أو أنت الثورة ، والشعب الثائر ..

* * *

دع لي بعض الزهرات أعلقهن على صدرك ..

دع لي بعض اللحظات ..

دع لي بعض الكلمات .. أقدمهن وفاء لك ..

* * *

يا من يتضاءل مجد الموت لدى عتبات علاه ..

يا من يتجسد ، وهو شموخ ، في قلب المأساة ..

يا عطر الأيام الحبلى بعذابات التكوين ..

يا من هو كل المهمومين ، وكل المظلومين ..

إني أصغي لصدى خطواتك في أرض فلسطين ..

أو أنت القادم عند الفجر إلى أرض فلسطين .

* * *

عليك سلام الله ..

عليك سلام الله ..

فهرست

١٠٨	حدث في أرضي	٥	مقدمة
١١٤	الليل والحديقة المهجورة		أغانى افريقيا
١٢١	إلى امرأة عاشقة		
١٣١	الأفعى		
١٣٥	لقاء	٤١	هذا الديوان بقلم محمود أمين العالم
١٣٩	الشك	٥٥	أحزان المدينة السوداء
١٤٢	مواما	٦١	البعث الافريقي
١٤٦	الضحايا	٦٧	ثورة قارة
١٥٣	العائدون من الحرب	٧٢	أغانى افريقيا
١٥٨	هذا الشعب	٨٠	أنا زنجي
١٦٢	عودة نبي	٨٤	الى وجه أبيض
١٦٧	قصة	٨٩	الطوفان الأسود
١٧٣	قطرة ضوء	١٠١	مات غداً

١٩٥	النهر الظامى	١٧٦	إلى مومبا
٢٠٢	السفر	١٨٢	نحو الصباح
٢٠٥	عندما يتكلم الشعب	١٨٩	الضعف
		١٩٣	تحت الأمطار

اذكريني يا افريقيا

٢٦٧	الغريب	٢١٧	أغنية حول الشمس
٢٧١	ثرثرة بورجوازية	٢٢٢	الناقوس
٢٧٧	الخطاة في المدينة	٢٢٦	البنفسجات الثلاث
٢٨٦	الحلم والعجز	٢٣٠	قارع الطبول
٢٩٠	النافذة	٢٣٥	ذو السيف المكسور
٢٩٥	دون كيشوت الثاني	٢٣٨	البحار المعجوز
٢٩٨	رسالة إلى جميلة	٢٤٥	عن الشعر والكلمات الميتة
٣٠٧	مقتل السلطان تاج الدين	٢٥٦	رسالة إلى الخرطوم
٣٢٤	إلى بول روبسون المغني	٢٦٢	ستانلي فيل

عاشق من افريقيا

٣٤٣	عصر الميلاد	٣٣٣	عاشق من افريقيا
٣٤٥	لومومبا والشمس والقتلة	٣٣٨	صوت افريقيا
٣٥٠	أغنية إلى السودان	٣٤٠	ما زلت أغني

٤٠١	ماضيها	٣٥٤	نكرو وما
٤٠٥	بعض معانينا	٣٥٨	إلى بن بيللا ورفاقه
٤٠٧	إلى عينين غريبتين	٣٦٢	من أجل عيون الحرية
٤١١	مأساة الانسان الآخر	٣٦٨	في ضوء الفجر
٤١٧	الطريق	٣٧٠	لومات في شفتي الكلمات
٤٢٤	أغنية في الضوضاء	٣٧٤	انفعالات
٤٢٧	الطفل والعاصفة	٣٧٨	اعترافات
٤٣٢	الحصاد الافريقي	٣٨٥	الندم
٤٣٥	العار	٣٨٧	سرعان ما أنسى
٤٣٨	ريح تمر	٣٩١	ليلة السبت الحزين
٤٤١	غابة موت	٣٩٤	اغماءة
٤٤٤	حصاد شعب	٣٩٨	ليته لا يزال

معزوفة لدرويش متجول

٤٨٣	رقصة في ذراع الغربية	٤٥٣	معزوفة لدرويش متجول
٤٨٦	يوميات حاج إلى بيت الله الحرام	٤٥٦	نقش على شفتين
٤٩٢	الأقنعة	٤٦٢	تحديق عبر الأشياء المرفوضة
٤٩٧	المفاجآت	٤٦٦	ريح الحزن القادم
٥٠١	رجل وامرأة	٤٧٠	حكايات عشق في سالف الزمان
٥٠٥	ياقوت العرش	٤٧٦	أغنية موت قصيرة
٥١٠	مقاطع فلسطينية	٤٨٠	الجبل

السقوط حبشليم

٥٤٢	السؤال والاجابة	٥٢١	صلاة قبل الأفول
٥٤٤	قاع المدينة	٥٢٢	إيقاعات قديمة
٥٤٦	أصواتهم	٥٢٣	الافتتاحية
٥٤٨	حفار القبور	٥٢٤	سكون
٥٥٠	الدرويش	٥٢٥	الرؤيا
٥٥٢	البومة والطاووس	٥٢٧	داخل السرير الملكي
٥٥٣	حجر في الطريق	٥٢٩	الذين يحيثون
٥٥٥	خلود	٥٣١	حوار
٥٥٦	الانسان والحقيقة	٥٣٣	المعركة
٥٥٨	الديناصور	٥٣٤	وصية الشاعر القديم
٥٥٩	آخر المهزلة	٥٣٦	العميان والجريمة
٥٦٠	الغثيان	٥٣٧	السقوط
٥٦٢	أشباح مجهولة	٥٣٩	إيقاعات حديثة
٥٦٣	المشهد الأخير	٥٤٠	المخاض
٥٦٤	اعتذار	٥٤١	كتابة منسية

البطال والثورة والمشفقة

٥٧٩	موت الملك سليمان	٥٧١	يوميات رجل مقتول
٥٨٥	ورقة على سطح القمر	٥٧٤	الله يا شيخى أنا

٦١٣	إلى الأختل الصغير	٥٩٠	الهياكل
٦٢١	الرجل الذي ظهره للحائط	٥٩٥	الجنة
٦٢٧	قنديل في الضباب	٥٩٧	المقتول يدفع الثمن
٦٣٦	العودة إلى أرض الغربية	٦٠٣	القمر والحديقة
٦٤١	القادم عند الفجر	٦٠٥	وثيقة من العالم الآخر
		٦١٠	أغنية جوفاء